403

HARLEQUIN

روايات أحلام

حبيبي المجهول

ماغي كوكس

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

حبيبي المجهول

شمس . رمال . بحر . حب . . . وأسرار !

يعرف ليسندر روساكيس جيداً الباحثات عن الشهرة والمال . لذلك لم تكن لديه أية رغبة في إخبار الجميلة آنيتا داين بحقيقته عندما قابلها في عطلتها على إحدى الجزر اليونانية . ففي النهاية هو لا يرغب إلا في تمضية وقت ممتع معها .

لم يخبر ليسندر آنيتا بانه مليونير . ويرأس شركة للنقل البري . وعندما اكتشفت الحقيقة . شعرت بالخيانة والألم . فهذا الرجل اليوناني الفاتن هو رجل أحلامها . . إنه الشخص الذي اعتقدت أنها لن تقابله يوما . .

ولكن القدر كان يخبىء لها مزيداً من الأسرار . . . ومزيداً من الألم !

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-371-1

ماغي كوكس

عندما شاهدت ماغي كوكس أحد الأفلام الرومنسية الذي أثر فيها تأثيراً شديداً، ولد تعلقها بالروايات العاطفية. ومنذ ذلك الحين وهي تحلم وتبتكر رواياتها الخاصة سراً على أمل أن تُنشر رواياتها يوماً وتمتهن عملاً تحبه!

الآن وقد تحقق حلمها، تشكر ربها كل يوم على النعم التي أغدقها عليها.

هي متزوجة من رجل رائع وأم لابنين رائعين أيضاً. أما هواياتها فهي إلى جانب اهتمامها بعائلتها وحبها للتأليف والمطالعة، الموسيقى، ومشاهدة الأفلام.

١ - صدفة أم قدر

فقدت أنيتا أعز صديقة لديها، واكتشفت أنها ليست ابنة من تظنهما والديها. حدث ذلك كله في غضون عدة أسابيع...

حادثان لا رابط بينهما، لكنهما مفاجئان وعنيفان جداً، أصابا أنيتا ونقلاها من دنيا الأمان إلى عالم من الخوف من المجهول. خلال تلك العملية المؤلمة، تعرفت إلى حقيقة مختلفة تماماً.

- حسناً! بما أنني الآن هنا، ربما أستطيع أن أقوم بأفضل ما يمكنني فعله.

نظرت بتجهم إلى المرآة، فرأت نظرات الشك تنعكس بوضوح في أعماق عينيها البنيتين الداكنتين. حاولت أن تكبح ذلك الاحساس بالخدر، الذي يجعلها تشعر وكأنها تسعى بيأس لتحافظ على توازنها، فيما انشقت الأرض تحت قدميها عن صدع عميق.

- استمري في التنفس... فقط، استمري في التنفس.

سمعت صدى نصيحتها لنفسها في تلك الفسحة الصغيرة، حيث أحاطت بها جدران غرفة الفندق البيضاء البسيطة، مع صورة وحيدة باهتة للمادونا اليونانية والطفل. لكنها مع ذلك، بقيت متمسكة بها. وقفت هادئة دون حراك إلى أن انحسر ذلك الخوف، وعادت تتنفس بشكل عادي ثانية. جرت قطرة باردة من العرق ببطء عبر صدرها. عليها أن تحارب... عليها أن تفعل ذلك. فليس هناك أي شباك آمنة لتمسك بها إن سقطت ثانية.

www.elromancia.com

منذ اللحظة التي قررت فيها السفر إلى الجزيرة اليونانية الصغيرة، التي اختارتها عشوائياً على الخريطة، وهي تشعر بمزيج مضطرب من الحزن والحماس يضجان في قلبها، لأنها من هناك ستبدأ باكتشاف ذاتها. وعدت أنيتا نفسها أنها ستتجنب أي شيء يشبه الروتين، ولو بشكل ضئيل جداً. ستكتشف روح المغامرة في داخلها، حتى لو أجبرت على استعمال بندقية.

- لا مجال للعودة، أنيتا! لذلك من الأفضل لك أن تعتادي على هذه الفكرة، وأن تتقبلي الأمر.

هذه المرة، لم ترن نصيحتها في الفراغ. شعرت باندفاع قوي من التصميم في داخلها، هو أشبه بتفجر ينبوع من الأهداف الجديدة. إنها في التاسعة والعشرين من عمرها، وحتى وقت قصير جداً كانت تملك عملاً ناجحاً ومزدهراً، بغض النظر إن كانت حياتها حتى ذلك الوقت عادية وغير جديرة بالملاحظة. أنيتا هي الطفلة الوحيدة المحبوبة لوالدين كانا قد بلغا الأربعين من عمريهما عندما ولدت، وقد نشأت بعناية وحذر انطبعا في داخلها حتى العظم. وهكذا، لم تفعل يوماً أي شيء بصورة تلقائية، ولم تفكر يوماً بالثورة ضد هذه التصرفات. استمر الأمر كذلك حتى ثلاثة أشهر خلت، وذلك عندما حصلت تلك الأحداث المضطربة، والتي سيطرت عليها ودفعتها إلى التصرف بطريقة لم تعهدها في نفسها من قبل.

أقفلت باب غرفتها، وأسرعت بالسير على الدرج العريض للحمامات الرومانية، والذي يؤدي إلى قاعة الاستقبال الصغيرة في الفندق، وهي تشعر فجأة بالحاجة لأن تكون بين الناس. راح كعبا حذائها يطرقان بقوة على الأرض الرخامية الباردة وهي تسير. صدى ذلك الصوت هو الوحيد الذي يثير الضجة في ذلك الجو اللطيف.

وضعت مفتاحها في الصندوق المناسب المعلق على الحائط، وخرجت إلى أشعة الشمس المشرقة وإلى الروائح العطرة للنباتات. لم تكن تملك أية فكرة عما ستفعله في يومها الأول المليء بالفراغ في هذه الجزيرة، لكن في النهاية، أليس هذا ما تريده؟ بدلاً من التخطيط بدقة وبصورة عملية لكل لحظة تمر، ستترك النهار يأخذها إلى حيث يريد. ستفتح قلبها للصدف، بدلاً من محاولة التنبؤ بكل نتيجة. ما إن غادرت الممر الحجري المنزلق الذي يسطع تحت أشعة الشمس، حتى أمرت أنيتا نفسها بصمت أن تريح كتفيها وتبطئ خطواتها. إنها في عطلة... حباً بالله! ولن تركض للمشاركة في ماراثون! تنفست مرة ثانية بتعاطف مليء بالتصميم، واستنشقت الهواء العابق بأنواع مثيرة من الروائح العطرة التي يصعب عليها التمييز بينها، أو تحديد رائحة زكية عن سواها من الروائح. كل ما شعرت به أنيتا أن المزيج المعطّر مؤثر بشكل مختلف تماماً عن أي شيء اختبرته منذ وقت طويل... وطويل جداً.

بعد مرور عدة دقائق، جلست أنيتا في الخارج، في مقهى قرب الماء حيث وضعت على الطاولات أقمشة فاخرة زرقاء اللون تناسب المظلات الكبيرة. ركزت نظرها باهتمام على اليخوت اللماعة الرائعة التي ترسو في المرفأ أمامها. بدت تلك اليخوت ملفتة للنظر بشكل واضح.

أثار ذهولها مظهرها الذي يدل على أنها باهظة الثمن، ولمعان هيكلها وخطوطها الواضحة، لكنها أيضاً شعرت بقليل من الحسرة؛ حتى الغنى الفاحش ليس بدرع كاف ليحمي الإنسان من العذاب الكبير الذي يشعر به حين يتعرض للخيانة أو يفقد شخصاً عزيزاً غالياً.

www.elromancia.com

فقدت أنيتا أفضل صديقة لديها، بولي، بسبب سرطان في صدرها، قبل أن تدرك مدى خطورة مرضها. بعد أقل من ثلاثة أشهر، بينما كانت تقوم بفحص دم عادي سألتها الممرضة ببراءة ما هي جنسية والديها، فزرعت بذور الشك فيها في ما يتعلق بنسبها، ولم تتمكن من التخلص منها. ظهر ذلك الشك في عدد من المناسبات القليلة في الماضي، وبتردد سألت والديها الإنكليزيين عن الأمر، لكنهما أكدا لها بحزم أنها ابنتهما. وفي استعادتها للأحداث الماضية، علمت أنها لم تكن مقتنعة أبداً، لكنها تقبلت كلمتهما وأبعدت السؤال التافه بتصميم.

لكن هذه المرة لم تتخلص منه وتدفعه بعيداً عن تفكيرها، بل واجهت والديها بشكوكها المزعجة، طالبة الحقيقة، وثبتُ لها بصدمة كبيرة أن شكوكها في مكانها. تذكرت المثل القائل: «احذر مما تبحث عنه لأنك قد تجده حقاً». هذا ما حصل فعلاً مع أنيتا لدرجة أنها تمنت لو لم تلتفت مطلقاً لهذا القول المأثور، لأنها علمت أن والديها لم يكونا أبداً والديها الحقيقيين. عندما سمعت القصة الكاملة وغير المعقولة، اكتشفت أنهما قد تبنياها وهي طفلة بعد أن تركتها أمها الحقيقية في سلة في مستشفى التوليد، وليس هناك ما يدل على أصلها وجنسيتها غير ملاحظة صغيرة كتب عليها ببساطة أن اسمها أنيتا.

الآن، وهي ترفع كوب شراب اللوز المكثف إلى شفتيها، رمشت بعينيها لتبعد تدفق الدموع الحارقة التي ملأتهما من وراء نظارتي الشمس السوداوين الكبيرتين. لكنها لم تستطع إيقاف الطوفان بالكامل. لا! لا يستطيع المال أن يحميك من أحداث الحياة التي تضربك بدون سابق إنذار، وتهاجمك بعنف وتأخذك بعيداً عن

الأمان. عمدت أنيتا إلى عرض المحل الذي تملكه للبيع، وهو عبارة عن متجرين لبيع الملابس المميزة، كانت تحتل بهما مركزاً خاصاً في سوق الملابس الأنيقة، وقررت نبذ حياتها الآمنة المحسوبة الخطوات إلى الأبد.

الآن، هي حرة وغير مقيدة بأية روابط. حياتها ممر مجهول، ولا أحد إلاّ الله يعلم إلى أين سيوصلها. عليها أن تشعر بالراحة مع المجهول من الآن وصاعداً، لأنها لا تملك عملاً عليها العودة إليه، ولا شريكاً يحبها لتقلق بشأنه بل تريد البدء في اكتشاف نفسها. كما لا تملك صديقة مقربة لتعترف لها بما يدور في رأسها من أفكار وعواطف. أمّا بالنسبة لوالديها... حسناً! كان ذلك أول شجار حقيقي معهما في حياتها كلها. لماذا انتظرا حتى الآن ليخبراها بأنها متبناة؟ هل كانا ليخبرانها لو لم تواجههما عن شكوكها؟ لماذا كذبا عليها، متعمدين إخفاء الحقيقة المذهلة؟ أخفيا عنها أيضاً أنه كان لديها أخ توفي وهو في الرابعة من عمره فقط، قبل سنة واحدة من تبنيهما لأنيتا، لهذا السبب كانا يبالغان في حمايتها. لكن الطريقة التي اعتمداها وهما يحاولان حمايتها كانت مليئة بالأكاذيب.

حتى بولي كذبت... كذبت عليها لتحميها، أخبرها طوم زوج بولي بذلك في ما بعد. علمت بولي أن خبر مرضها سيدمر صديقتها الحميمة. ودفاع والديها عن كذبتهما كان للأسباب نفسها، أي خوفاً عليها من تدمير حياتها. ما جعل أنيتا تتساءل، لماذا يعتقد الجميع أنها غير قادرة على التعامل مع الحقيقة وتقبلها؟! شعرت برجفة عميقة من الخيبة تسري في أوصالها، فشربت رشفة أخرى من القهوة التي طلبتها بعد الانتهاء من كوب شراب اللوز لكنها وجدتها باردة ولم تعد شهية كما توقعت. دفعت الفاتورة، وتركت بعض النقود

المعدنية للنادل كبقشيش. أرغمت نفسها على الوقوف وسارت نحو معرض للفنون قرأت عنه سابقاً في كتاب سياحي يتحدث عن الجزيرة. أرادت أن تنسى نفسها هناك لمدة ساعة أو ساعتين، وتمنت أن تجد بعض الإلهام عما ستفعله بعد ذلك. فهي في وضع غريب وغير متوقع في حياتها الجديدة، وربما قُدِّر لها فجأة أن تصبح طائشة ومهملة.

* * *

قفز ليسندر روساكيس من قارب الصيد الصغير بسهولة، وودّع بإشارة من يده الرجل الذي كان برفقته والذي اتجه إلى مطعم في خليج آخر ليبيع ما اصطاده. ضحك عندما أجابه رفيق الصباح بسرعة بديهة، ثم توجه عبر الطريق بجانب المرفأ إلى منزله. هو يمشي نحو المنزل أخذت أشعة الشمس تضرب جسمه الذي جف وأصيب بالارهاق بسبب الحرارة المرتفعة. حاول ليسندر أن يبعد عن رأسه الاحساس بالانزعاج الذي شعر به في أعماق معدته. لم يستطع فهم السبب الأساسي لمخاوفه في تلك اللحظة، لكن لا داعي لأن يفعل ذلك، فقد أصبح معتاداً على الأمر.

في المرة الأخيرة حين بقي في المنزل الأبيض البسيط كان برفقة مريانا، زوجته. والآن ها هو يزور مجدّداً المكان الذي يحبه كثيراً لكنه بمفرده هذه المرّة. أتى برفقة مريانا إلى الجزيرة منذ صيفين، قبل أشهر قليلة من ولادة ابنهما فقط... حاولا بيأس أن يسكنا آلام السنة الماضية، حين كان لمريانا علاقة غرامية. تذكر ليسندر ذلك الصيف بألم... تباطأت خطوات قدميه قليلاً عندما اجتاحته الذكريات الحلوة والمرة بقسوة. كيف كان له أن يعرف أن زواجه البائس الهش سيدمر كلياً بسبب الأحداث المخيفة التي حدثت لهما

وهما بطريقهما إلى أثينا؟ وأن مريانا ستضع مولودها قبل اكتمال نموه وأن كليهما لن يتمكنا من النجاة؟

ألم حاد لاذع كالسكين انغرس عميقاً في صدغيه. ضغط على رأسه بطريقة آلية محاولاً أن يوقف ذلك الارتجاف المؤلم. لكن الألم الحاد أصبح قوياً جداً، يرافقه إحساس بالاحباط والغضب لأن يد القدر لم تتدخل لوقف تلك الأحداث المريعة التي أفسدت حياته. وهذا ما جعل ليسندر غير قادر على كبح الشتيمة التي انطلقت من شفتيه.

ما الذي فعله ليستحق حياة مليئة بالعذاب هكذا؟ ألمْ يكن ولداً يونانياً صالحاً؟ ألم يتابع مهنة والده الشهير في أعمال السفن والشحن، متخلياً عن شهرته الممائلة في المجال الذي اختاره، وأصبح رغم ذلك قوة يحسب لها ألف حساب بين زملائه؟ ألمْ يهمل رغبته القوية بأن يصبح مصوراً ليتولى شؤون العائلة وأعمالها؟ لم تفهم مريانا أبداً شغفه بالتصوير الفوتوغرافي، بل وقفت بجانب والده، راغبة بمجد وشهرة عائلته، وبكل المنافع الاجتماعية التي حصلت عليها من الزواج برجل في مثل غناه ومركزه الاجتماعي. دفعتها رغبتها القوية بالثروة إلى الارتباط بأحد أفراد الطبقات الأرستقراطية لتأمين ما تطمح إليه، فعمدت بصورة مستمرة إلى جعله يضع أحلامه المجنونة جانباً ويركز اهتمامه ليصبح رجل أعمال ناجح. والآن، ثمار نجاحه قد أينعت، لكنه بالكاد يعرف ما الذي سيؤمن به بعد الآن.

خيانة مريانا، ثم موتها مع ابنه، خلقا جرحاً عميقاً داخل روحه قد لا يشفى منه أبداً. فالتجربة الكاملة لزواجه تركته يعاني من مرارة وألم شديدين من العلاقات الرومانسية أوصلته إلى حافة اليأس. كل

www.elromancia.com

ما حلم به أيام شبابه، بالحصول على عائلة محبة له قد تحطم واندثر. قد يقوم بخطوات جديدة تعيد شغفه القديم بالتصوير، فهو الآن يتابع العمل بإدارة أعمال روساكيس، لكنه يشعر بوحدة تفوق ما شعر به في أي وقت سابق. إنه الآن لا يملك ابناً ولا زوجة، وهو غالباً ما يفضل البقاء بمفرده، ما عدا في بعض المناسبات القليلة التي يبحث فيها عن رفقة بعض الأصدقاء القلائل المقربين الذين يستطيع الوثوق بهم.

هذا هو أحد الأماكن القليلة التي يستطيع القدوم إليها في اليونان حيث يمكنه البقاء بمفرده لوقت كاف. السكان المحليون يعرفون مأساته، فالإشاعات امتدت إلى معظم الجزر اليونانية النائية، فمع الاسم الشهير لعائلته، كيف يمكن ألاّ تحدث هذه الأمور؟ لكن سكان الجزيرة محترمون ولطفاء، كما أنهم يحاولون حماية حياته الشخصية، وليسندر يشعر بالامتنان لذلك.

تمنى لو أنه ذهب إلى الخليج الآخر مع صديقه، بدلاً من العودة إلى منزله الفارغ ليتناول الغداء بمفرده. نظر ليسندر إلى الجدران العالية لصالة عرض الفنون التي يملكها صديقه آري... كانت الأبواب المزدوجة للمدخل الرائع مفتوحة على مصراعيها في شمس النهار الصافية، كأنها تدعوه بصورة تلقائية للدخول، فقرر تلبية الدعوة.

* * *

شعرت أنيتا بالذهول وهي تتأمل آثار المعانة في صورة باللونين الأبيض والأسود لامرأة عجوز يونانية. أثرت فيها المعاناة الشخصية التي تنسكب من العينين الداكنتين المليئتين بالأسى والحزن، اللتين يحيط بهما عدد لا يحصى من التجاعيد العميقة المرسومة على

الوجه. نادت تلك اللوحة أنيتا منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى المعرض. ما إن سارت عبر الأرض الخشبية الجميلة للقاعة الواسعة في الطابق الأرضي، لاحظت جو المعرض الفرح الذي يرحب بالزائرين، كانت القاعة تعبق برائحة البخور من خلال ريشة أنيقة من خشب الأرز معلقة في إحدى الزوايا. رأت أنيتا الجدران المطلية باللون الأصفر البرتقالي، لكن أكثر ما أذهلها هو صورة تلك العجوز التي رأتها من بعيد، وكان عليها أن تمسك نفسها كي لا تركض نحوها بشكلٍ جنوني. جالت أنيتا في كل الغرف الأخرى لتنظر بتمعن إلى الصور المعروضة، لكنها بقيت تعود إلى ذلك العمل المميز ثانية.

إنه عمل يفرض نفسه عليك، مَثَلٌ صارم عن الصمود في وجه المآسي والألم، مثل عن الحياة المرّة بكل أشكالها المادية التي تؤثر حتى على الإنسان الأكثر قوة وتصميماً. يظهر ذلك كله تحت شمس حارقة، لا ترحم، مترافقة مع الفقر وغريزة البقاء. تلك اللوحة تجعل الروح تنزف ألماً. فالوجه يمثل رمزاً واضحاً لحب البقاء والتغلب على المصائب والكوارث، وللتماسك والاستمرار. إن مجرد التفكير بالعيش ليوم واحد تحت الشمس الحارقة، ومصارعة الحياة المخيفة، يبدو فكرة صعبة الاحتمال. لمست اللوحة مكاناً عميقاً وحزيناً في روح أنيتا يتوسل للانطلاق. لم تعلم كيف عرفت كل تلك الأمور عن المرأة المجهولة، لكنها فعلت. قوة الصورة واضحة بشكل يجعلها تفسر كل شيء...

وجدت نفسها تتعاطف مع آلام المرأة الصامتة بسبب عواطفها الجياشة الشفافة. فتأملها لمس مشاعر مخيفة في داخلها من الغضب والخيانة، والاحساس بقسوة الهجران، والألم العميق لأن والديها

www.elromancia.com

كانا يفضلان الصبي الذي فقداه على ابنتهما التي تبنياها، والتي أصبحت في ما بعد تملك المنزلة الأعلى لديهما.

استغرقت أنيتا في تأمل الصورة، حتى إنها لم تلاحظ الرجل الطويل الذي وقف مستقيماً بقربها، وهو يرتدي بنطلون جينز وقميصاً قصيرة الأكمام سوداء اللون. وقف الرجل في مكانٍ لا يبعد عنها إلاّ عدة خطوات، حيث أخذ يشاركها دراسة الصورة. عندما تنبهت أنيتا لوجوده، بدا لها أن مجرد حضوره يأمرها بالصمت، ولم تعد قادرة على المقاومة... بدون إرادة منها نظرت حولها لترى من يقوم بإزعاجها.

شعرت كأنها غرقت في دوامة عميقة ما إن اصطدمت نظراتها بالغريب. كأن سهماً من النار قد اخترقها ودخل مباشرة إلى قلبها، وبدأ يذوبها. بدا الرجل ذا شعر أشعث أشقر بلون العسل، صفف بطريقة بسيطة، أمّا فكّه فبدا قوياً يظهر عليه الكبرياء، وقد رسمت خطوطه بدقة متناهية قلّ مثيلها. رأت أنيتا أنه يملك أكثر العيون حيوية، وهذا ما أدهشها، لأنها لم تصادف مثلهما من قبل؛ فلونهما بلون السماء الصافية بعد نهار ماطر. تساءلت ما هو بالتحديد هذا اللون: أهو نيلي؟ أم بنفسجي؟ مهما كان اسم لونهما المتدرج، فإنهما تبدوان رائعتين حقاً، وقد أصابتها نظراتهما بالوهن ما جعل ساقيها ضعيفتين كأنهما ساقا لعبة من قماش.

أدركت أنيتا بشدة أنها تفعل شيئاً لم تقم به من قبل في حياتها، فهي تحدق بالرجل ببلاهة، فبدأت بالاستدارة وهي تشعر بالذنب. قال الرجل بنعومة: «مرحباً!».

بدا صوته عميقاً رناناً، يحمل سؤالاً جعل كل ما في داخلها يعتصر بشكل لا يحتمل.

أجابت قائلة: «مرحباً»!

تجهم وجهها قليلاً. لم تتوقع منه أن يتعرف عليها، أو حتى أن يتكلم معها، وصُدمت لأنه فعل. تعمدت إعادة نظراتها نحو الصورة، وقالت لنفسها إن عليها أن تنتظر بضع ثوانٍ قبل أن تسير بتهذيب لتنظر إلى صورة أخرى.

قال بنبرة صوت رائعة: «أنت لست يونانية. أليس كذلك؟».

ظهرت على فمه الأنيق ابتسامة مختصرة جذابة. تعلّقت نظراتها بدون قصد منها، بعضلاته البرونزية المنتفخة والمشدودة بقوة. وحاربت أنيتا بجهد لتتمكن من السيطرة على ردة فعلها الواضحة.

- آه... لا! أنا إنكليزية... أنا من إنكلترا.

رفعت كتفيها وكأنها تعتذر، وبدأت بالتراجع بعيداً عن الصورة التي سحرتها. رفع كتفيه هو أيضاً وقال: «من الممكن أن تكوني يونانية».

جمدت أنيتا مكانها بسبب نظراته التقييمية الواضحة التي جالت عليها من رأسها حتى أخمص قدميها. تابع قائلاً: «أظن أنك تسمعين ذلك طوال الوقت، على الأقل هنا في اليونان؟».

هذا صحيح! ففي كل متجر تقريباً دخلت إليه البارحة مساء بعد وصولها، وقبل أن تتناول عشاءها في مطعم محلي، تم الترحيب بها بفيضان من اللغة اليونانية من أشخاص ظنّوا أنها تفهمها جيداً، وستجيبهم على كلامهم. ذكرها هذا بما حدث منذ تسعة وعشرين عاماً، حين وصلت الشرطة إلى المستشفى ووجدتها متروكة في سلة الغسيل، وقد تركت أمها الحقيقية داخل ثيابها بطاقة تحمل اسم «أنيتا» كتبت باللغتين الإنكليزية واليونانية. لذلك، من المحتمل جداً أن تكون أمها الطبيعية من الجنسية اليونانية، ومن المحتمل أيضاً،

www.elromancia.com

أنها كانت تعمل خادمة في أحد فنادق لندن، أو شيء من هذا القبيل في وقت ولادة ابنتها.

- ينظر الناس إلى لون شعري وإلى عينيّ.. وأعتقد أنهم يظنون...

لم تستطع أن تتفوه بأية كلمة أخرى. أصابها انقباض قاس وغير متوقع، فعمدت إلى التحرك مرة ثانية لترك رفيقها الجذاب كي يتمكن من الاستمتاع بالصورة الرائعة بمفرده. لم تكن مستعدة لمتابعة الكلام، بينما شعرت برغبته في مواصلة حديثهما.

سألها، وهو ينظر إلى عينيها: «هل أعجبتكِ هذه الصورة؟».

غرقت أنيتا في بحر من اللون الأزرق المشع، ووجدت صعوبة في إيجاد كلمات جاهزة لتقولها. هل تتوقع حقاً أن تنظر إلى عينين كتلك، وتتمكن من التفوه بجملة مترابطة؟

- أحببتها كثيراً!

غضبت لأنها تبدو قلقة جداً، وكأنها لم تتحدث من قبل إلى رجل جذاب. حاولت أن تشرح إحساسها في ما يتعلق بالصورة، وقالت: «إن أردت الصدق، أشعر كأنني أتعرف على أحزان كثيرة عندما أنظر إليها، ما يجعلني أرغب في إعطائها بعض المواساة. أحب أن أعرف المزيد عن المرأة التي في الصورة. لا بد أن المصور عبقري لأنه تمكن من إظهار تلك المعاني الرائعة. ألا تعتقد ذلك؟».

- إنه بعيد جداً عن أن يكون عبقرياً.. يمكنني أن أؤكد لك ذلك.

- هل تعرفه؟

- هذه الصورة لي.

- أنت تقصد.. أنك تملكها؟

- أقصد أنني أنا من التقط هذه الصورة.

لم تظهر أية ابتسامة على وجهه. استدار الرجل ونظر إلى الصورة وبدا لأنيتا أنه نظر إليها بنظرة ناقد أكثر من نظرة معجب. ذُهلت لأنها في أول زيارة لها إلى المعرض، قابلت صاحب أكثر الأعمال قوة في المعرض كله. علمت أنيتا أن سعادتها ودهشتها باديان بوضوح جداً على وجهها.

قالت له بدون أي تحفظ: «حسناً! لا بد أنك فخور جداً بعملك. أعتقد أنها رائعة».

أثارت أنيتا بكلامها اهتمام ليسندر بشكل واضح، فنظر بتمعن إلى المرأة التي تقف أمامه وراح يتفحصها. لم تبدُ باهرة الجمال، مثل مريانا، لكنها جميلة.. جميلة جداً، بعينيها الواسعتين السوداوين وفمها الزهري اللون. أدهشه اهتمامها وإعجابها بتلك الصورة بالذات، التي صودف أنها المفضلة لديه بين كل أعماله. أظهر ليسندر إعجابه بالشعر الأسود الطويل الذي يصل إلى منتصف ظهرها، والذي يلمع بشدة كأنه بحر من اللؤلؤ الأسود، ولاحظ بالطبع أنها تملك جسماً يخطف الألباب أيضاً.

أظهر بنطلونها الأبيض المصنوع من الكتان جمال قدها ورشاقتها، فهي ذات خصر نحيل. إنها، باختصار، تملك كل الصفات التي تجعلها رائعة بالفعل. بدت جذابة في قميصٍ حريرية ذات لون زهري، ولا يستطيع أي رجل ألاّ أن يقدر مفاتنها. أعجب ليسندر بصوتها أيضاً، فهناك ما جذبه فعلاً في طريقة كلامها باللغة الإنكليزية.

فجأة، لاحظ أنه لا يريدها أن تذهب وتتركه بمفرده. لأول مرة

شعر أنه سئم من وحدته الكئيبة، وأصبح بحاجة إلى تغيير مختلف مثل رفقة هذه الشابة الساحرة. ابتسم قائلاً: «أشكرك جداً على هذا الإطراء».

عمدت المرأة اليونانية الشابة التي تعمل على مراقبة مدخل المعرض، إلى إدخال أسطوانة جديدة في جهاز الموسيقى على المكتب أمامها. فصدحت موسيقى رائعة لآلة الغيتار يرافقها صوت ملائكي ملأ الغرفة، وعلى الفور سرقت الموسيقى اهتمام أنيتا من رفيقها. قالت بحماس وقد لمعت عيناها السوداوان: «آه، ما هذا؟ إنه رائع!».

أصبح قرار ليسندر بألاّ يدعها ترحل من أمامه مهمة أساسية لديه. بدا له بوضوح أن السائحة الإنكليزية الجميلة تقدّر الأشياء الجميلة في الحياة، وسيكون أمراً مفرحاً حقاً أن يمضي عدة ساعات برفقتها.

أجاب بثقة كاملة: «سنسأل صديقتي ليوني، لتخبرنا عن المقطوعة الموسيقية ونحن في طريقنا إلى الخارج. أود أن أدعوك إلى الغداء. هل تعطيني هذا الشرف بالانضمام إلي؟».

- لا أعتقد أنني...

- هل أنت هنا مع زوجك أو صديقك.. ربما؟

- لا هذا ولا ذاك، فأنا غير مرتبطة.. في الوقت الحاضر.

شعرت أنيتا باللون الأحمر يصبغ خديها.

لماذا؟ آه! لماذا قالت له ذلك الكلام؟ ربما يعتقد الآن أنها تتوقع منه أكثر من دعوة للغداء!

لكنه بدا سعيداً بجوابها بكل الأحوال...

- حسناً! اسمي ليسندر، وإذا تحدثتِ مع ليوني لبرهة قصيرة،

ستؤكد لكِ أنني بالفعل المصور الذي التقط تلك الصورة، فأنا معروف جداً بالنسبة لها ولزوجها آري، الذي يجلس هناك. لقد أخبرتك ما اسمي، والآن يجب أن تخبريني ما اسمك.

تجهم وجه أنيتا وهي تفكر.

- ليسندر؟ أليس لهذا الاسم ارتباط مع الإسبارطيين؟

قولها فاجأ ليسندر مما جعله يضحك بصوت عال من الفرح. من المكتب الأمامي، نظرت ليوني متفاجئة، وابتسمت لرؤية ليسندر روساكيس يستمتع برفقة امرأة جذابة من جديد.

- كان ليسندر جنرالاً إسبارطياً، ولم يكن محبوباً جداً من الشعب الأثيني، لأنه انتصر عليهم في نهاية الحرب البلوبونيزية. كيف يمكن لك أن تعرفي ذلك؟

- أنا أحب التاريخ وأحب أن أكون ملمة بأحداثه.

تورّد خداها ما إن قالت ذلك، فتمعن ليسندر بها أكثر، وقال يذكرها: «إنه موضوع مثير للاهتمام، وأنا أوافقك الرأي، لكنني ما زلت أنتظر سماع اسمك».

تساءلت أنيتا بقلق. هل تريد حقاً أن تتناول الغداء مع هذا الغريب الوسيم؟ إنه يثير اهتمامها بدون شك، لكن كيف يمكن لها أن تعرف إن كان بإمكانها الوثوق به؟ فهي وحيدة على هذه الجزيرة، وليس هناك أي إنسان يعرف أو يهتم إن أصابها أي مكروه...

آه، لا تكوني سخيفة! سمعت صوتها يردد بتوتر. لا شيء سيحدث، غير أنك قد تمضين وقتاً ممتعاً. حباً بالله، أنيتا! استمتعي بحياتك قليلاً! سمعت تلك الكلمات بصوت بولي. كم مرّة دفعتها صديقتها الرائعة للقيام بأمور ممتعة، وغالباً ما كانت تغضب منها لأنها لا تفعل ذلك؟ لا سيما عندما تراوغ أنيتا بشأن دعوة أو حدث

www.elromancia.com

اجتماعي، وتضع عراقيل لا تحصى في وجه شيء يبدو بوضوح مسلياً ومفرحاً. أصبحت نصائح والديها التي لا تنتهي باتخاذ الحذر قيوداً مملة، تعيقها عن الحركة. وهكذا اتخذت قرارها. تذكرت ما وعدت نفسها به، عن استغلال كل فرصة تأتيها، لا سيما وهي الآن بعيدة أميالاً عن المألوف والمتعارف عليه. وجدت نفسها تمنح الرجل الجذاب ابتسامة مصممة ومشجعة.

- اسمي أنيتا.

لم يقل لها ما اسم عائلته، لذلك اتبعت خطاه وفعلت مثله. بعد الغداء، من المحتمل ألاّ تراه ثانية، لذلك فالأمر غير مهم. أحياناً يكون من المسلي أن تبقى غامضة.. وأن تكون أنيتا مختلفة، غير محاصرة بشخصيتها الصارمة مع نفسها والمتكيفة مع الآخرين.

- لكنك تحملين اسماً يونانياً.

ضاقت عيناه وهو يتابع تأملها، ولم يخفِ ليسندر دهشته.

- نعم.

رفعت كتفيها كأنها تشعر بالذنب. كيف لها أن تشرح للرجل أنها هنا لتبحث عن ذاتها، لتتمكن فعلاً من التأكد أنها تملك دماء يونانية؟ فهي ما زالت لا تعرف كيف ستحصل يوماً على الحقيقة بشأن أسلافها.

- تعالي!

سار نحوها، وبخفة لمس يدها، ولم تفته النظرة السعيدة في عينيها السوداوين الرائعتين، وتابع قائلاً: «لنذهب إلى الغداء معاً وهناك ستتمكن من التحدث أكثر».

٢ ـ لقاء عند الغروب

سألته أنيتا: «إذاً، كيف تختار مواضيع صورك؟».

ثم قضمت حبة الزيتون التي اختارتها من صحن السلطة اليونانية التقليدية المليء بالألوان. جلسا في مقهى يقع فوق تلة تطل على البحر. بدت مياه البحر متألقة. ظهر قاربان للمسافرين من بعيد تاركين خلفهما زبداً أبيض على صفحة المياه.

بدا ليسندر مفكراً للحظة، وقد أخفى عينيه الآسرتين عن عينيها بنظارتين شمسيتين. رغم ذلك شعرت أنيتا بالتفحص الشديد لنظراته غير المستقرة، وكأنه يسألها أكثر الأسئلة حميمية...

أجاب وهو يرفع كتفيه، ويكسر بعض الخبز في صحنه: «أصبحت المرأة التي في الصورة واحدة من مواضيعي بمحض الصدفة».

انجذبت نظراتها على الفور إلى يديه الرشيقتين البرونزيتين بأظافرهما المقصوصة بأناقة مفرطة. من المؤكد أن لديه يدي فنان، لكنهما تبدوان خطيرتين أيضاً.

- كنت مسافراً أتنقل بين بعض الجزر الصغيرة، وأنا أحمل الكاميرا معي. بعد أن مشيت طوال النهار في أحد الأماكن تهت هناك، فوقفت أمام منزل صغير لأسأل عن الطريق. كان ذلك منزل إفيجينا، المرأة التي في الصورة. قدمت لي الطعام رغم قلة ما تملكه، وأثناء تناولنا الطعام معاً أخبرتني قصة حياتها. عندما انتهينا

www.elromancia.com

شعرت بالفضول نحو الكاميرا وسألتني إن كنت أرغب في التقاط صورة لها. قلت لها: بالطبع! والنتيجة هي ما رأيته في المعرض.

أثرت إفيجينا كثيراً بليسندر، بلطفها وتواضعها. حدث لقاؤهما بعد ثلاثة أشهر من وفاة مريانا. حينها، كان قد تخلى عن مهام أعماله لبعض زملائه الذين يستطيع الوثوق بهم، وأخذ يتجول ويسافر من مكان إلى مكان. شعر أنه بحاجة ليبقى بمفرده لفترة من الوقت، كي يجد منطقاً معيناً يفهم من خلاله هذا العالم. فقدت إفيجينا عائلتها كلها، واحداً تلو الآخر: زوجها، ابنها، وأخيراً ابنتها بسبب المرض. مع ذلك لم تشعر بمرارة، فهي مقتنعة أنهم سيجتمعون ثانية في الدار الآخرة.

تمنى ليسندر أن يكون ما تؤمن به صحيحاً، لكنه لا يملك ذلك الأمل بأن يجتمع ثانية مع ابنه، الطفل الذي فقده، فتلك ستكون معجزة يصعب تصديقها، وهو على الأرجح لا يستحقها. لم يتمكن مطلقاً من التخلص من الشعور بالانزعاج.. ربما لأنه لم يتمكن من مسامحة مريانا من كل قلبه على خيانتها له، نال ما ناله عقاباً له.

عندما رجع أخيراً إلى منزله، وقام بتظهير الصور، عَلِمَ أنه تمكن من الحصول على شيء مميز جداً. كان بإمكانه له بيع صورة إفيجينا مئات المرات بسبب الاهتمام الواضح الذي تبرزه الصورة، لكن ليسندر بدلاً من ذلك أعطاها لصديقه آري تسوكالاس ليعلقها في معرضه.

- إذاً أنت مصور محترف؟

- نعم، ذلك أحد الأعمال التي أقوم بها.

لم يكن هناك حاجة لأن يخبر ليسندر هذه المرأة الشابة الساحرة أنه يقبض دخله الأساسي من صناعة السفن، وأن هذا الدخل يشمل

ملايين الدولارات في كل سنة. من الأفضل أن تعتقد أنه مجرد مصور بسيط. هذا سيسمح لها بالاستمتاع بغدائهما غير المتوقع معاً، بدون التقيد بالعادات البالية التي يثيرها اسم عائلته وثراؤها.

سألته أنيتا بلطف: «هل تعرض صورك في أي مكان آخر؟».

للحظة شدّت انتباه ليسندر الطريقة التي مضغت فيها حبة الزيتون السوداء، وكيف كورت فمها بجاذبية وهي تحاول نزع البزرة بأصابعها بنعومة كبيرة. تصرف عادي ومألوف جداً يجب ألاّ يلاحظه أصلاً، لكنه لم يستطع إخفاء مدى تأثره بذلك. فكر بالسائحة الإنكليزية الجميلة باهتمام كبير لم يتمكن من التحكّم به.

- ليس بعد، لكنني أعمل بصورة عاجلة على إقامة معرض لي مع صديق في أثينا.

كان يخبرها الحقيقة، لكنه لم يخبرها أن هذا المعرض سيقام في أكثر المسارح شهرة، وأن الصديق الذي يساعده في إقامة المعرض هو من أشهر المصورين العالميين. بعيداً عن العلاقات الاجتماعية، أثارت صور ليسندر اهتمام العين الناقدة والاختصاصية للرجل المشهور عندما عُرض بعض منها في مجلة أزياء.

- حسناً! أتمنى لك كل الحظ في المعرض. إن كانت الصور الأخرى تشبه الصورة التي رأيتها اليوم، فأنا متأكدة أنك على الطريق الصحيح لتحقيق ثروة من أعمالك.

ابتسمت أنيتا فظهرت أسنانها البيضاء الجميلة. لم يكن لدى ليسندر أي شك أنها تنظف أسنانها ثلاث مرات في اليوم! فهو لمس أنها امرأة صغيرة دقيقة جداً، من النوع الذي يبدي أقصى اهتمامه بأصغر الأشياء في الحياة... ومع ذلك أخبره حدسه أن هناك ناراً قوية تحت ذلك المظهر الهادئ، تشبه النار التي في داخله. إنها من

www.elromancia.com

الأشخاص الذين يتحركون ويتألقون بصورة تلقائية. منذ رآها هذا الصباح، أحسّ أنه لا ينقصها أي إحساس بالشغف والعاطفة الجياشة.

ما إن أصبحت أشعة الشمس قوية حولهما، حتى وقع ليسندر في نوع من أحلام اليقظة التي لا تقاوم. أصبح لديه رغبة شديدة بإمضاء ما تبقّى من بعد الظهر برفقتها. أراد أن يغذي تلك العاطفة التي رأى بأنها تملكها لتصبح لهيباً من النار. أدرك غرابة أفكاره لكن ذلك لم يعطه أي إحساس ولو قليلاً بالذنب.

إنه يبحث عن رفيقة للروح، فهو لم يعد متأثراً من الناحية العاطفية. لم يبقَ لديه أي شيء ليقدمه لأية امرأة. أصبحت علاقة ليسندر بالنساء الجذابات هذه الأيام لا تتعدى رغبتهن وإصرارهن على جذب انتباهه. ربما لم تتعمّد أنيتا أن تتعامل معه كما تفعل النساء الأخريات، لا سيما عندما يعلمن من يكون، لكنها اعترفت له أنها غير مرتبطة. ومن المحتمل أن يكون لدى امرأة مثلها أمل خفي بنوع من العلاقة الرومانسية القصيرة الأجل بينما هي في عطلة.

حسناً! باستطاعته تقديم الرومانسية لها، لفترة قصيرة الأجل، فتلك الفكرة تروق له كثيراً الآن.

- شكراً لكِ... لكنني تكلمت كثيراً عن نفسي، كما يبدو، وما زلت لا أعلم شيئاً عنك. ما الذي دعاك للقدوم إلى جزيرتنا الصغيرة؟

لم تجبه على الفور. إنه سؤال بسيط وتقليدي، لكن بدا كأنها تجد صعوبة متناهية بإيجاد الجواب.

- أتيت لأنني كنت بحاجة إلى عطلة... لتبديل كل المناظر أمامي.

- وسافرت إلى هنا بمفردك؟

- لم أرغب بالسفر مع أي شخص لأنني أحتاج إلى وقت لأمضيه بمفردي... لأفكر.

- يبدو الأمر جدياً جداً. ألديك قرارات مهمة عليك اتخاذها بشأن حياتك، ربما؟ أو أنني أتدخل قليلاً بحياتك الشخصية؟

إنه يتحدث بأمور شخصية جداً، لكن عندما نزع نظارتيه الأنيقتين ورمقها بنظرات عينيه النيليتين، لم يعد لدى أنيتا الرغبة في صدّ سؤاله. بكل الأحوال إن كان السؤال شخصياً جداً أمْ لا، ربما من الأسهل لها أن تشارك ما في عقلها مع شخص غريب، شخص لن تراه أبداً ما إن تغادر الجزيرة.

قررت أنيتا أن تأخذ على الأقل خطوة صغيرة، وأن تبوح بشيء مما تشعر به، وتشاركه بعض أفكارها.

- أعتقد أن لدي حقاً بعض القرارات المهمة التي عليّ أن أتخذها. حدثت أمور صعبة جداً أجبرتني على اتخاذ تلك القرارات. لكن في الحقيقة، نظراً للطريقة التي جرت فيها الأمور، وكيف أثرت عليّ، أعتقد أن للقدر دوراً كبيراً هنا. فحتى وقت قصير جداً كنت جاهلة تماماً بالمآسي الشخصية أو حتى الألم. أعتقد أنني بحاجة لأتعلم هذا الدرس، مهما بدا صعباً، كي أعمل على تغيير أسلوب حياتي.

تنفست أنيتا بعمق وابتسمت، محاولة بتعمد أن تخفف من توتر الأجواء، ثم قالت: «بالطبع، من الأسهل أن تفكر بالأمر ملياً قبل أن تتصرف فعلاً وتقوم بتغيير حياتك، ألا تعتقد ذلك؟».

رفع كتفيه وقال: «إذا كانت الرغبة موجودة... أعتقد أنك أقدمت على تغيير حياتك منذ الآن، أنيتا. أنت امرأة تتقبل الأمور

www.elromancia.com

برباطة جأش. يعلم الكثير من الناس أنهم بحاجة إلى تغيير شيء ما في حياتهم، لكن القلة فقط يقومون بذلك بالفعل. حتى عندما يُدفعون إلى ذلك، من السهل جداً التظاهر أن شيئاً لم يحدث للبقاء في منطقة الأمان، أليس كذلك؟».

بدا كأن صوته العميق ونبرته الدافئة تهدهدانها وتحملانها على الاحساس بشعور غريب من الأمان لم تشعر به أبداً مع أي شخص آخر. قال لها إنها شجاعة... لم يقل لها أحد إنها كذلك من قبل.

أطبقت شفتيها بقوة، وشعرت أن الصمت قد امتلأ بصخب قوي من العاطفة التي تجيش في قلبها.

- أنيتا!

بلطف ومن دون إبطاء، مدّ يده نحو يدها.

الاحساس بلمسته الدافئة الحازمة كان كمن يمس الحديد الحامي. للحظة، شعرت كأنها أصيبت بدوامة من الصدمة والحرارة وهذا ما جعلها غير قادرة على الكلام. قالت بإصرار بعد قليل: «أنا لست شجاعة أبداً».

تخلصت من الصدمة وهي تحدق بيدها الصغيرة الناعمة، التي تمسك بها يد قادرة بتملك، وتابعت: «كنت عكس ذلك طوال حياتي. أنا أقوم دائماً بالأشياء بتمهل وبتفكير مسبق، وأتخذ دائماً جانب الحيطة والحذر. عمل والداي على حمايتي من كل شيء، أخشى القول إنني سمحت لهما بالقيام بذلك».

- لكنك الآن تستعيدين حريتك، أليس كذلك؟ وكأنك فراشة جميلة تنطلق من شرنقتها.

كلماته أشعرتها بفيض من العاطفة في داخلها، ما جعلها تسحب يدها وتمسك بها. عضت بنعومة شفتها السفلى التي بدأت ترتجف

وهي تمنع عينيها من إذلالها بالدموع. عليها أن تبدل الموضوع وتحوله إلى أمور غير شخصية. قالت: «إنه لمكان جميل جداً، هل تعيش هنا بصورة دائمة؟».

صممت على إعادة حديثهما إلى مساره الطبيعي وإلى موضع أكثر أماناً. لم يجب ليسندر على الفور عن سؤالها، بدلاً من ذلك تأملها كأنه يقول لها إنه يفهم كل عاطفة تعيشها. هو يفهمها بشكل عميق ومتفهم جداً، كأنه شقيق روحها. وجدت أنيتا نفسها غير قادرة على إبعاد نظراتها عنه، مهما بذلت من جهد.

- أنا لا أعيش هنا. آتي فقط للزيارة بين الحين والآخر. لدي منزل على الجزيرة، وكلما أردت الهروب لفترة.. هذا هو المكان الذي أذهب إليه. أعيش في أثينا، وأنا أوافقك الرأي تماماً، إنه مكان جميل جداً. هو المكان المناسب للتفكير بشأن ما سيفعله المرء في الحياة.

بدا صوته ناعماً ومرحاً، لكنه لم يكن ساخراً أبداً. سألته أنيتا: «ألهذا السبب أنت هنا أيضاً؟».

شعرت كأنها تقف محفوفة بالمخاطر وأنها على شفير الكارثة، وهناك من يتوسل إليها لتقفز في الفضاء. شربت رشفة من العصير الذي طلبته مع الغداء، لكن يدها ارتجفت وهي تحاول أن تمسك الكوب.

يا للدهشة! ظهر الضيق على وجهه ولو بشكل جزئي، كأن سؤالها أزعجه.

- لا! أنا هنا في عطلة من العمل تقريباً.

- تلتقط الصور، أليس كذلك؟

- أنيتا!

www.elromancia.com

- نعم؟

تفاجأت من النبرة المسيطرة التي استخدمها. شعرت كأن عينيها البنيتين تصادمتا بقلق مع نظرته القاسية، وكأنهما جناحي فراشة ناعمة تصادمت بقوة بحرارة مصباح بالرغم عنها.

- لا شك أنه من المدهش أن تقنعني امرأة بسهولة بالتحدث عن نفسي، لكنني أرغب بالتعرف إليك، أكثر مما أرغب بالإجابة عن أسئلتك المهذبة عن حياتي الخاصة.

بدا كلامه جدياً جداً، فبعد أن أمسك بيدها أصبح يشعر بحرارة قوية تثير عاطفته بعيداً عن الاحساس بالصداقة نحوها. منذ ساعة واحدة فقط شعر بالغضب واليأس، كارهاً وحدته الكئيبة، ولم يتمكن من التفكير بإمضاء وقت مع أي شخص آخر. وها هو الآن بعد أن أمضى عدة دقائق مع المرأة الناعمة الجذابة التي تجلس قبالته، يشعر بحيوية تتدفق في عروقه أكثر مما شعر به خلال شهور. أجابته أنيتا: «أنا لا أريد حقاً التحدث عن نفسي، إن كنت لا تمانع، أحب فقط أن أجلس هنا وأستمتع بأشعة الشمس برفقتك، وأنسى كل مشاكلي لفترة. هل يناسبك ذلك؟».

بعيداً عن رغبته في اصطحابها إلى منزله ليمضي معها ما تبقى من النهار، لم يستطع ليسندر أن يجد اقتراحاً أفضل يفكر به.

- لم تطلبي الكثير. سأكون سعيداً جداً بالجلوس هنا والبقاء برفقتك.

رفع كوبه إليها وهو يتابع: «إنني محظوظ جداً بلقائك اليوم، أنيتا. لقد اعتقدت أنه مجرد يوم كباقي الأيام، لكن لقاءك أثبت أنني مخطئ، وهذا ما أؤمن به حقاً».

شعرت بوجهها يتوهج من الحرارة، كأنه يتناغم مع أشعة

الشمس. التقت نظرات أنيتا بنظرات عينيه الباحثتين المليئتين بمزيج من الفرح والإنذار. تفاعلت نظراته في داخلها كالفقاقيع، لذلك أدارت رأسها، وتعمدت التركيز على المنظر المهيب أمامها. بصمت ومرارة تمنت أن تمنعها إرادتها القوية من الاستسلام للصفات الرائعة والخطيرة لهذا الرجل الجذاب.

لم يتمكن ليسندر أن يردع نفسه عن دعوة أنيتا للانضمام إليه على العشاء. رفض أن يفكر إن كان ذلك تصرفاً حكيماً من قبله أم لا، فهو بالكاد يستطيع السيطرة على رغبته القوية برؤيتها مرة ثانية. جلس على إحدى الطاولات المميزة على الشرفة في مطعم ذي موقع مميّز يطل على المحيط الهادئ، فيما الشمس توشك على المغيب بإجلال مهيب.

لمح أنيتا عند المدخل، تتحدث مع نادل شاب مفعم بالحيوية، فضاق صدره بطريقة غريبة لمجرد رؤيته ذلك المنظر. ومع أنها تبعد عنه مسافة عدة طاولات فقط، تمكن من الشعور بقوة الإعجاب والاهتمام الذي خلقه ظهورها. راودته أحاسيس صغيرة لكنها عنيفة في أعماقه، تحمل بعض مشاعر الغيرة. ربما تحرّك جزء من الكبرياء في داخله، لأنها له هذه الليلة، ومع كل لحظة تمر كان يدرك أنه يصبح عديم الصبر أكثر لعدم انضمامها إليه.

كانت ترتدي فستاناً عادياً من القطن باللونين الأحمر والأبيض. أضفى ذلك الفستان الضيق المزيد من الجمال على جسمها قبل أن يتسع قليلاً ويتهدل بأناقة ليصل حتى ركبتيها. بدت مذهلة مع شعرها الأسود الكثيف الذي يشع كنهر يتدفق تحت أشعة الشمس على ظهرها النحيل. رؤيتها في تلك اللحظات الملفتة أعطت ليسندر صورة لن يتمكن من نسيانها بسرعة.

www.elromancia.com

وقف ليسندر ما إن وصلت إلى طاولتهما. قام النادل الشاب بإبعاد الكرسي المقابل له لتجلس عليها، وقد ظهر الاضطراب على بشرته السمراء القاتمة. خمّن ليسندر أن الشاب قد شعر بالاحراج لأنه شوهد يتكلم بودّ مع الصديقة الجديدة لليسندر روساكس الثري الشهير.

شكره ليسندر بلغة البلاد الأصلية لإحضاره ضيفته إلى طاولته، وانتظر حتى جلست رفيقته الساحرة قبل أن يتحدث إليها.

- إنني سعيد جداً لتمكنك من المجيء.

قال ذلك بحزم، وهو ينظر بتملك إلى عينيها البنيتين الخجولتين. ردّت بقلق: «هل تأخرت؟».

نظرت إلى ساعتها برعب وتابعت: «كانت أمسية رائعة ومثالية فلم أستطع مقاومة الرغبة بالتنزه قليلاً».

- أنا وصلتُ باكراً، أنت لست متأخرة. كما أنكِ وصلتِ في الوقت المناسب لتشاهدي أكثر أوقات الغروب جمالاً.

نظرا معاً نحو الجرم السماوي المشع وهو يتموج فوق البحر، مرسلاً لهيباً قوياً برتقالي اللون مندفعاً عبر المياه التي أصبحت سوداء داكنة. وشهقت أنيتا إعجاباً بالمنظر الساحر.

سمع ليسندر الصوت الصغير الذي يظهر عدم تصديقها لما تراه، فشعر بالابتسامة على شفتيه تذوب على نحو مفاجئ. تأثر كثيراً ببراءتها، كما تأثر لرؤيته واحداً من أجمل المناظر الطبيعية التي تثير الإلهام والوحي. سألته، وقد اتسعت عيناها، وهي تنظر بلمحة سريعة نحوه: «ألا يحرك هذا المشهد مشاعرك بشكل غريب؟»

لم تلاحظ مريانا مرة في حياتها غروب الشمس! وهو يشك أن تكون قد فكرت مرة إن كان لديها مشاعر أم لا، فكيف بها تسأله

عن مشاعره هو؟ تركت كلمات أنيتا صدى عميقاً بداخله.

أجابها بصوت منخفض أجش: «نعم، بالتأكيد. ولا يهم عدد المرات التي رأيت فيها هذا المشهد، أشعر أنني محظوظ لمشاهدته كثيراً، فجماله وقوته لا يفشلان أبداً في إثارة إعجابي».

فكرت أنيتا وهي تشعر بموجة من الحرارة تتدفق في صدرها، أنه يملك أكثر الأصوات تميّزاً. سماعها له يشعرها كأنها تستحم في حمام دافئ معطر بأفضل العطور. في الحقيقة، إنه واحد من أكثر الأصوات إحساساً... إنه صوت مليء بالجاذبية...

الفكرة المغرية هاجمتها بقوة كالأحصنة البرية التي تتعرض للمطاردة. للحظة، استسلمت أنيتا لتلك النكهة المميزة التي لا تستطيع إنكارها. لكن الحقيقة الباردة أيقظتها من أحلامها بسرعة. إنها لم توافق على تناول العشاء مع ليسندر كي يقوم بإغوائها. لقد سمعت الكثير عن تلك المغامرات العاطفية أثناء العطل رغم أنها لم تمر في تجربة شخصية مماثلة. لكن رجلاً ديناميكياً جذاباً ومليئاً بالحيوية مثله يعتبر بالتأكيد تلك العلاقات مجرد سعادة عابرة يعمد إلى نسيانها بسرعة. وأنيتا لا تعرفه جيداً، فربما هو متزوج أيضاً.

ملأتها هذه الفكرة الجديدة رعباً. مهما بدا ساحراً ويتعذر تجاهله، فهي لا تفكر مطلقاً بإقامة علاقة مع رجل متزوج. فهذه الفكرة بالنسبة لها هي كالسير عارية في شارع عام في ضاحية للمحافظين!

سألها: «ماذا ترغبين أن تأكلي؟».

محاولاً التدخل في مسار أفكارها من جديد بتلك النغمة المثيرة في صوته.

أخذت لائحة الطعام الذي قدمها لها، ونظرت باختصار إلى

www.elromancia.com

أوراقها المصقولة، وعلى الفور، عادت تحدق فيه مجدداً.

- من فضلك لا تعتقد أنني وقحة، لكن...

كيف يمكن لها أن تطرح سؤالاً لا تستطيع إنكار وقاحته وجعله رقيقاً وناعماً؟ تأمله المريح لوجهها لم يتغير مع كلماتها، لكن بطريقة ما بدا أكثر تركيزاً وهذا ما زاد من قلقها. انفجارات صغيرة من الرعب والقلق أخذت تتنقل عبر عمودها الفقري، كأنها حفر في مناجم. ابتلعت غصة وتابعت: «سألتني إن كان لدي زوج أو صديق. حسناً...! هل تمانع لو أنني سألتك السؤال نفسه؟».

- زوجتي متوفية.

بدا صوته كئيباً وعميقاً، ما منعها من إبعاد نظرها عنه، فهناك شيء مزعج وخطر مختبئ فيه. لم يحاول إخفاء انزعاجه وكرهه الكامل لسؤالها المقلق. تدرج اللون في عينيه المنزعجتين فجأة، وأصبحتا تشبهان الرخام الأزرق. بدا أن ليسندر الذي شعرت أنيتا أنها أعجبت به بسرعة مفاجئة قد اختفى فجأة، وأصبح مكانه شخص غريب بارد منفر، وسرت رجفة من الرعب ببطء عبر عمودها الفقري.

- الآن بعد أن أصبح ذلك واضحاً، وعلمتِ أنني لست أحاول جعلك تتورطين في علاقة من الحب غير المشروعة، ربما ستولين بعض الاهتمام لتفكري بما ستأكلينه؟

شعرت بجفاف في حلقها ما جعلها تحدق بشوق إلى إبريق الماء على الطاولة بينهما. تمنت لو أنه يسبح في الهواء بنفسه ليتجه نحوها.

- لم أقصد أن أزعجك ليسندر.

ظهرت غمازة على جانب خده الأسمر ما أثار ارتباكها كلياً

وقال: «بالطبع لم تقصدي. انتهت تلك المسألة الآن. دعينا ننساها ولنركز على الاستمتاع بهذه الأمسية معاً».

أرادت أنيتا بشدة يائسة أن تعرف ما الذي حدث لزوجته. كيف ماتت ومنذ متى؟ من الواضح أنه أحبها كثيراً وبعمق. بدا لها ذلك من خلال شق من الألم ظهر للمحة في عينيه قبل أن يعود ذلك الحاجز الجليدي ليأخذ مكانه ويمنع أي تساؤل غير مرحب به.

من الواضح أن تلك المواضيع محظورة، وهي لن تجرؤ على إثارتها مرة ثانية إلاّ إذا أرادت أن تجلب لنفسها المتاعب وتثير غضبه الشديد.

أجبرت نفسها على النظر بإمعان إلى لائحة الطعام مرة ثانية، وتأثرت كثيراً عندما تذكرت كيف لفظ اسمها بنعومة.

- لم أقصد أن أسبب لك الإزعاج.

- أنا لست منزعجة.

تخلصت من إحساسها بالضيق وهي تبتسم بالرغم عنها. وجدت أنيتا نفسها غير قادرة على النظر بعيداً كما رغبت أن تفعل، كي تخفي حزنها المفاجئ. ما كان لينجح ذلك بأية حال. فردة فعل ليسندر كانت سريعة مثل الزئبق.

- لا تكذبي عليّ، أنيتا. أنت فتاة يظهر ما في قلبها في عينيها، كما أنني لست أعمى.

www.elromancia.com

٣ - المواجهة الصعبة

رأى ليسندر يخت والده المفضل، إيفانجلين، يرسو في المرفأ كالملكة بين اليخوت الأخرى المشهورة التي تعود إلى أثرياء أثينا. أولئك الأثرياء الذين ينتمون إلى عالم المال تماماً مثل عائلة روساكيس، فشعر بقلبه يغوص بين أضلاعه.

ليس صدفة أن والده قرر زيارة الجزيرة في الوقت الذي يمضي ابنه الوحيد عطلة فيها، لا بد أن ليونداس روساكيس يريد من ليسندر شيئاً ما. كاد السنة الماضية أن يفقد حياته عندما أصيب بالتهاب رئوي، لكنه شفي والحمد لله! ومنذ ذلك الوقت وهو يحاول التحكم بمصير ابنه. اهتمامه الوحيد هو بالطبع مستقبل تجارة السفن التي هي ثروة العائلة، واقترابه من الموت زاد ذلك الاهتمام إلى حد المبالغة.

بينما كان ليسندر يصعد إلى متن السفينة عبر الدرجات الواسعة التي توصل إلى ظهر المركب، رآه أحد عمال اليخت، فأحنى رأسه احتراماً ما إن مرَّ به. ووجد ليسندر أفكاره تتسابق مضطربة بسبب أنيتا.

ليلة البارحة بعد العشاء، عندما سار برفقتها إلى الفندق الصغير حيث تنزل، احتضنها بشدة كي يودّعها. استسلم كلاهما لردة فعل حادة كمس كهربائي سرت في جسديهما. بدت أنيتا مندهشة واتسعت عيناها ما إن ابتعد عنها، وتحمل ليسندر ألم شوقه إليها طوال طريق العودة، فتذكر بشرتها الدافئة التي لا تقاوم.

ما الذي يجعله يشعر بشوق غير عادي نحوها؟ عندما التقى بزوجته للمرة الأولى وجدها جميلة بشكل مذهل، لكنه لا يتذكر رغبته بها إلى هذا الحد... كما حدث مع أنيتا.

وافقت على لقائه بعد حوالى نصف ساعة في المرفأ. عمد ليسندر إلى الاتفاق مع أحد أبناء الجزيرة ليأخذهما إلى كهف خاص كي يتنزها ويجلسا تحت أشعة الشمس. نيكوس رجلٌ كتوم لن يكرر أي حديث يسمعه لأي شخص آخر... ما كان ليسندر ليستعين بخدماته لو لم يكن هكذا. حاول ليسندر التفكير بسبب وجود يخت والده هنا في المرفأ، ومرّ بسرعة في غرفة الطعام ليصل إلى الصالة الأساسية، حيث اعتقد أنه سيجد الرجل الذي يبحث عنه. أراد أن يجعل لقاءهما المرتقب سريعاً وقصيراً لينتهي بسرعة. فكل ما يريد القيام به الآن هو العودة إلى المقهى المشرف على المحيط حيث اقترح على أنيتا أن تنتظره.

* * *

يتمتع ليونيداس روساكيس بصفات الأسد، وهو يعيش تلك الشخصية بجدارة، ما من شك في ذلك. فهو ما زال حتى الآن رجلاً فارع الطول، شديد الوسامة، مع أنه يعاني مؤخراً من المرض. يتفاخر ليونيداس روساكيس بشعره الفضي المميز، ولديه حضور يخوّله بسهولة أن يفرض سلطته وينشر القلق بين الموجودين بسبب الهالة التي تحيط به. مع ذلك فهو قادر في الوقت نفسه أن يتصرّف كالهرة الصغيرة الناعمة مع حفيديه الصغيرين، أطفال شقيقة ليسندر إيفادن، إذ بإمكانه استخدام نعومته تلك عندما يريد.

في هذه اللحظة، وبينما اقترب ليسندر من المكتب الكبير المصنوع من خشب السنديان الذي يحتل جداراً كاملاً من الصالة

الرئيسية لليخت، رمقه والده بنظرة تحمل معان كثيرة إلاّ النعومة واللطافة. ما زال الاستياء القديم العميق موجوداً بينهما. حاول ليسندر أن يبتلع غصته بصعوبة ليتمكن من التحدث، بسبب التوتر الذي شعر به في حلقه.

- ما الذي تفعله هنا، أبي؟ رأيتك في أثينا منذ عدة أيام فقط.

- ما هذه التحية الباردة من ولدي الوحيد؟

قال ليونيداس ذلك بطريقة دراماتيكية بصوته العميق الرنان، وتابع: «ما الذي فعلته لأستحق منك هذا الازدراء؟».

أخرج من صدره تنهيدة تدل على عدم الصبر، فمرر ليسندر أصابعه في شعره بتوتر وانزعاج. علم بطريقة غريزية أنه سيتعب جداً كالعادة، كما يحدث دائماً عندما يحاول السيطرة على غضبه قرب والده.

- أنا لا أظهر الازدراء بل التوتر، ومن حقي السؤال عن سبب وجودك هنا، فأنت تعلم جيداً أنني بحاجة للابتعاد عن أثينا لأتصرف كما يحلو لي... بعيداً عن أي تدخل من العائلة!

- أتسمي الاهتمام الأبوي تدخلاً؟ عار عليك، ليسندر! عليك أن تعرف أنني أفضل من ذلك بكثير.

- أنا أعرفك جيداً، أبي... لهذا السبب لا أثق تماماً بدوافعك في القدوم إلى هنا. ما الذي تريده مني؟ هل ساءت صحتك مجدداً؟ هل تريدني أن أتحدث مع الأطباء لأجلك؟

- أتحطم قلبي باعترافك اللاذع بعدم ثقتك بي، ثم تسأل عن صحتي؟

هزّ ليونيداس رأسه الكبير كالأسد، وتنهد بعمق، كأنه يعاني من جرح خطير. سار من وراء مكتبه ليقف على بعد خطوة من ابنه

الوسيم، الذي بدا مليئاً بالشك.

- في الواقع، لدي بعض الأخبار الجيدة لك. بعض الأخبار الجيدة التي آمل أن تضع المزيد... لنقل المزيد من تعابير التعاون على وجهك الغاضب ذلك!

توتر ليسندر على الفور، وجال بعينيه الزرقاوين على وجه والده المبتسم وهو يشعر بموجة مفاجئة من التوتر الداخلي تسري في جسده.

أخبار جيدة! غالباً ما يصبح الأمر ذاتياً وغير موضوعي عندما يتعلق بالعلاقات مع عائلة روساكيس، لا سيما حين يكون ليونيداس هو الشخص المتورط. من الطبيعي جداً، بناء على التجربة السابقة، أن ينظر ليسندر للأمر بشك كبير.

- ما هي الأخبار الجيدة التي تريد إخباري بها، إذاً؟ قل لي بسرعة، هكذا سأتمكن من متابعة أعمالي وأعود إلى عطلتي.

بهتت الابتسامة على وجه ذلك الرجل العجوز الذي لا يقهر. أظهر ليونيداس ملامح واضحة المعالم وهو يختار كلماته التي سيستعملها بحذر شديد، كأنه يختار حبات الكرز من الشجرة. هو وابنه لا يتواجهان وجهاً لوجه، لكن في تلك اللحظة أخذ ليونيداس يرجو بحرارة أن يتقبل ليسندر إعلانه الوشيك بطريقة منفتحة، وأكثر مما يتوقع.

- رأيت البارحة صديقاً قديماً لم أره منذ سنين عديدة.

توقف عن الكلام، مفكراً بحذر بتأثير كلماته حتى الآن على ليسندر، لكن تعابير وجه ابنه بقيت غامضة، مغتاظة، وغير مقروءة.

- طاكس كومانيديس... كنا في المدرسة معاً. هل تذكره؟ أخبرتك عنه في السابق؟

www.elromancia.com

استجاب ليسندر بحركة مختصرة، وبومضة من عينيه الزرقاوين الحذرتين أظهر معرفة ضئيلة بالرجل.

- تولى السنة الماضية أمر...

وذكر اسماً معروفاً جيداً لشركة لامعة من خطوط النقل البحرية، فأدرك ليسندر على الفور وكتقدير أوّلي أن والده يرغب جداً بفرصة ليدمج شركته بها. شعر على الفور بالتوتر يسيطر على ظهره وكتفيه وكأنه أُمسك بقبضة حديدية، وكأن طوقاً حديدياً لفه وقسمه إلى نصفين. ما الذي ينويه المخادع القديم الآن؟

- حسناً! والآن، هل تتذكر أن لديه ابنة؟ إنها تدعى إلكترا، وهي الآن في الثانية والعشرين من عمرها، وقد قابلتها على العشاء ليلة البارحة مع طاكس. يمكنني أن أقول لك إنها فتاة ذات جمال وذكاء نادرين. تلقت علومها في أفضل معاهد باريس وروما، ولديها ذوق خاص في كل شيء تقريباً. أخبرني طاكس أنها تتوق لتستقر وتنشئ عائلة، لكن بكل أسف لم تلتق حتى الآن بالرجل المناسب. فلم أستطع إلاّ أن أفكر بأنك الشخص المثالي والمناسب لها، ليسندر. لقد مرَّ أكثر من سنتين على وفاة زوجتك، وهذا وقت كاف لتبدأ من جديد بالتفكير في الزواج ثانية. أريدك أن ترجع إلى أثينا نهار السبت لتلقاها. عندما أخبرتها عنك بدت مهتمة جداً، وقد وصفتك «بالآسر»، هذه هي الكلمة التي قالتها.

ضغط ليسندر على أسنانه بقوة محاولاً أن يسيطر على الغضب الذي بدأ يتجمع ويزيد بداخله وكأن عاصفة هوجاء على وشك الحدوث. حدق بوالده بمرارة الغضب العميق والخيبة اللذين أخذا يتصاعدان إلى حلقه. أطلق شتيمة بصوت عالٍ، وسار بخطى واسعة وبفقدان صبر إلى الجهة المقابلة، من الصالة الفاخرة، ثم عاد ثانية

في محاولة للسيطرة على غضبه المتصاعد بسرعة كبيرة.

تأكد أن شكوكه في محلها، ولو لمرة واحدة في حياته، فحين يتعلق الأمر بوالده يجد ليسندر نفسه معظم الأحيان مخطئاً. لو أن ليونيداس أبدى لمرة واحدة تفهماً ولو قليلاً لما مرّ به وعانى منه ابنه الوحيد، عندها لبدأ الصدع الذي نشأ بينهما بالزوال. لكن، وكما هي الحال، يبدو أن ليونيداس يلغي الأحداث المؤلمة التي مرّت في السنوات الأخيرة من حياة ليسندر بسهولة تثير العجب.

لم يرَ ليسندر أي تعاطف من والده بسبب الأحداث المؤلمة التي مرّت به، والحزن الذي تحمّله. لقد تزوج، بناء على رغبة والده، من امرأة خدعته بنظراتها الفاتنة وحبها الكاذب، ولم يتمكن من اكتشاف الحقيقة بسهولة. خانته بغدر مرتين، وحين حاولا إنقاذ الأجزاء الباقية من الدمار المحتم لعلاقتهما الزائلة بعد أن أصبحت مريانا حامل، فقدت هي وابنها المنتظر حياتيهما.

لو أن والده أظهر بعض التعاطف مع ذلك كله، أو أنه اعتذر أو حتى اعترف بدوره في إتمام ذلك الزواج البائس، عندها قد يغفر له ليسندر تقريباً أي شيء. لكن ردة فعل والده على خسارة ابنه بدت خالية من العاطفة، وواقعية لدرجة مذهلة. والآن ها هو مرة ثانية، قد وضع زواجه المرعب، وموت مريانا وخسارة طفله الذي لم يعرف الحياة، جانباً، واتجه مباشرة لترتيب زواج ملوكي ليتمكن من الحصول على وريث.

شعر ليسندر بأنه سينفجر لأن الرجل العجوز يحاول أن يغريه بزواج ملائم من ابنة شخص ثري يعمل في الشحن. تمكن من رؤية وجهة نظر الرجل العجوز، بالطبع. لن يكون ذلك الاندماج مجرّد جمعٍ بين عائلتين قويتين وثريتين، بل سيحول منفعتهما المتبادلة إلى

قوة كبرى يمكن الاعتماد عليها في عالم الأعمال... ولا يهم كم تبلغ الكلفة الإنسانية...

- لا يمكن تصديق ما تقوله. هل تعرف ذلك؟ كيف يمكن لك حتى أن تذكر موضوع زواجي مرة ثانية؟ أنت تدرك جيداً أنني ما زلت حزيناً على فقدان طفلي، وأحاول التعامل مع آثار كارثة زواجي الذي دمّر إيماني بهذه المؤسسة، فكيف تطلب مني المحاولة ثانية! دعني أوضح لك ذلك للمرة الأخيرة. أنا لست مهتماً على الإطلاق بمقابلة ابنة ذلك الرجل الذي تسميه صديقك، لأسباب اجتماعية ولا لأية أسباب أخرى، كما أنني غير مهتم مطلقاً بالزواج ثانية! لقد مررت بين ألسنة الجحيم، أبي، وأنا لا أتمنى تلك التجربة حتى لأسوأ أعدائي. كل ما يشغل بالك هو الأرباح التي قد تجنيها!

- أظهر بعض الاحترام ليسندر. لا تتحدث معي كأنني غبار عند قدميك! أنا أريد لك الأفضل ومن كل قلبي. هذا هو شعوري دائماً نحوك. هل تعتقد أنه يسعدني أن أراك مجرد ظل للشاب الحيوي الذي كنته، غير مهتم لا للأعمال ولا للعائلة؟ حسناً! أنت لست مستعداً لدخول مغامرة زواج جديدة، لكن على الأقل يمكنك مقابلة ابنة طاكس، أليس كذلك؟ ما الذي ستخسره من جراء ذلك؟ ستحظى بآنسة جميلة تخرج برفقتها إلى العشاء لفترة على الأقل، بدلاً من إمضاء كل أوقات فراغك منشغلاً بتلك الهواية السخيفة!

على مضض، عاد ليونيداس إلى الكرسي الكبير المصنوع من الجلد وراء مكتبه الضخم، وجلس عليه بصعوبة واضحة، وقد ظهر على وجهه تشنج من الألم وهو يجلس. لم يستطع ليسندر إلاّ الاستجابة باهتمام عميق شعر به من داخل صدره. لكن في الوقت نفسه بدا غاضباً بشدة من أبيه لأنه حطّ من قدر صوره وأسماها

«هواية سخيفة». في الحقيقة لا شيء مهم أو ذو قيمة بالنسبة إلى ليونيداس روساكيس إلاّ عمل العائلة بتجارة السفن، وهو ببساطة لا يستطيع أن يفهم جيداً لماذا لا يشعر ليسندر مثله تماماً.

سأل ليسندر بانزعاج، وقد عاودته موجة من الغضب بينما أخذ يدرس ملامح الخيبة على وجه والده: «هل أنت بخير؟ هل أتصل بأحد ما؟».

دلّت إيماءة ليونيداس على فقدان صبره، وقال: «أنا بخير، لكن قلبك القاسي ظالم بحقي وذلك كله سببه اهتمامي الصادق بمستقبل زاهر لك. لِمَ لا تستطيع القدوم إلى أثينا يوم السبت لتناول العشاء مع أمك ومعي؟».

ومع طاكس كومانيديس وابنته «الجميلة» و«الآسرة» إلكترا، بدون شك!

هز ليسندر رأسه بحزم، وقال: «أنا في عطلة ولا رغبة لي بالعودة إلى أثينا حتى تنتهي عطلتي. عليك أن تسلّي أصدقاءك بدوني».

- حسناً! إذاً، اذهب. لكن على الأقل اتصل بأمك في المنزل ودعها تعلم أنك بخير، مفهوم؟ فكل ما تفعله هذه الأيام هو القلق عليك، ليسندر. وإذا شعرت بالملل قليلاً من التقاط الصور، شرفني بعودتك إلى المنزل على العشاء ليلة السبت، اتفقنا؟ يمكنك العودة مباشرة إلى الجزيرة بعد ذلك، وسأتركك بسلام حتى نهاية عطلتك. أعدك بذلك.

- لقد أعطيتك جوابي، ولا أرى سبباً يجعلني أغير رأيي. سأراك في ما بعد، أبي. لا تجهد نفسك كثيراً، وقل لأمي إنني سأتصل بها في وقت قريب.

بدون أن يتلفظ بأية كلمة أخرى، استدار ليسندر على عقبيه وغادر بسرعة الصالة المليئة بخشب الورد اللماع والمفروشات الأثرية. سار بخطى واسعة ليغادر اليخت الفخم وعاد إلى اليابسة، حيث تمكن من التنفس بسهولة ثانية.

* * *

استيقظت أنيتا في ذلك الصباح وهي تشعر بوجود فراشات تنقر في معدتها. في البداية لم تعرف السبب، لكنها تذكرت لاحقاً، فهي ستقابل ليسندر عند المرفأ وهما سيبحران إلى كهف ساحر صغير يعرفه، حيث بإمكانهما السباحة والتحدث بحرية.

أبعدت شعرها عن جبهتها، وهي ما زالت مستلقية في السرير، تحت غطاء رقيق من القطن. أخذت تفكر بقلق في ما سيحدث خلال النهار. حدقت بالسقف الأبيض البسيط، ولم تستطع إلاّ أن تتمنى الحصول على إشارة ما من السماء تعلمها فيها أن هذه فرصة عليها ألاّ تفوتها، وأنها ليست مجرد خطوة خاطئة عليها تجنبها بشكل خاص.

لديها كامل الحرية لتقرر أي طريق تختارها، بالطبع! لكنها أصبحت تدرك أن الحرية في بعض الأحيان قد تكون خياراً صعباً أو بالأحرى الخيار الأكثر صعوبة. تنفست بنعومة وهي تشعر بالاحباط، وتذكرت كيف عانقها ليسندر بطريقة مدمرة ليلة البارحة. أغمضت عينيها، وشعرت بعناقه من جديد. شعرت بشيء كالتيار الكهربائي بدأ من أطراف قدميها ومشى في جسمها حتى وصل إلى أعلى رأسها.

أنيتا لا تعرف حتى اسمه بالكامل، وهي بالكاد تعرف أي شيء عنه، لكنها مع ذلك تعرف أن لدى ليسندر تأثيراً محتماً عليها كتأثير

أشعة الشمس الحارقة على قالب من الثلج.

بعد مرور ساعة، راحت عيناها تبحثان عنه بقلق بين حشد من السائحين الذين يجلسون في المقاهي وعلى الشرفات الخارجية التي تطل على المياه. بدا لها أن كل ما تبقى من العالم قد اختفى عندما لمحت قامته الطويلة، وخطواته المستقيمة، وهو يسير نحوها برشاقة. تجمدت قدماها من التوتر، وحاولت بجهد أن تهدئ الإحساس الغريب والقوي الذي انبثق من داخلها.

بدا وسيماً بشكل لا يوصف. إنه صورة رائعة للقوة والجاذبية. طريقته في السير تظهره مسيطراً لا يقاوم حتى عندما يبدو مرتاحاً. هذا ما سيساعد أنيتا على التعرف إليه ولو بين حشدٍ من ألف شخص من مجرد لمحة. لكن تحت ذلك القناع من الثقة بالنفس الواضحة أظهر بشكل مدهش قابلية للتأثر، أثارت تلك الفكرة فضولها وبطريقة يتعذر تفسيرها، وجعلت ليسندر يدخل إلى قلبها. ربما يكون حدسها مخطئاً في هذاالأمر، لكنها لا تزال غير قادرة على مقاومة تلك الفكرة الأسرة.

* * *

كانت ترتدي فستاناً صيفياً زهري اللون ذا فتحة عميقة عند العنق، مع قبعة عاجية اللون مصنوعة من القش، يحيط بها شريط من اللون الزهري المشرق المناسب للفستان، صففت شعرها الأسود الجميل في ضفيرتين غير مشدودتين. بدا مظهرها بعيداً عن الأناقة المفرطة، لكن بالنسبة لأنيتا لم يكن مظهرها أقل من مثالي وملفت للنظر. أمّا داخل صدر ليسندر فانبثقت سعادة مفرطة كأنها إشراقة الشمس. في اللحظة التي رآها فيها، غاب عن باله على الفور الحديث المحزن والمزعج الذي تبادله للتو مع والده. أضاف

الحديث إلى الملفات الذهنية المزعجة التي لديه قائمة منها ليتبادلها مع والده في المستقبل، والتي من المحتمل أن تجعله يمرّ بأوقات مريرة حقاً.

رؤية وجهها الجميل ذكره بوردة ندية زهرية اللون فائقة الجمال، لمست ببراءتها شوقاً عميقاً وقوياً في داخله. شعر ليسندر على الفور برغبة للحصول على أنيتا بمفردها بعيداً عن المرفأ المليء بالحركة والناس الذين أخذوا بالتوافد إليه. رغبته تلك تخطت كل الحدود،وجعلته يرغب في القيام بشيء ما، تلقائي ومتسرع، كمعانقتها هنا أمام كل الناس.

كاد أن يستسلم لرغبته، لكن الحذر أملى عليه ألاّ يفعل، فقد يكون هناك الكثير من المراقبين. هو يعلم أنه يقدم على مخاطرة كبيرة بأن يصل الخبر إلى والده، فيعلم أنه يمضي فترة إجازته مع سائحة إنكليزية جميلة، وهو الآن لا يريد المزيد من تدخل والده في حياته. قد يخيب أمل ليونيداس إذا ما سمع عن مغامرة ابنه الجديدة، بينما هو يعمل بشدة ليجعله يلتقي الشابة الجميلة الثرية إلكترا كومانيديس. لكن، ليسندر الآن مصمم على ألاّ يسمح لأحدٍ بإبعاده عن أنيتا، لا أحد...!

- مرحباً!

حيّاها برزانة، وأبقى الشوق القوي في عينيه الزرقاوين مخفياً في الوقت الحاضر وراء نظاراته الشمسيتين، وجال بنظره على ملامح وجهها الجميل الصاعق.

أجابته بجدية مماثلة: «مرحباً».

- هل أنت جاهزة للذهاب؟

- أعتقد ذلك.

نظرت إلى الأسفل حيث حقيبة القش المخططة تتأرجح على ذراعها، التي تحتوي على منشفتها، بذلة السباحة، واق للشمس، زجاجة ماء وآخر قصة كانت تقرؤها. لم تتخيل أنها ستشعر برغبة في القراءة للحظة مع وجود هذا الشاب اليوناني الرائع بجانبها تحت أشعة الشمس، لكنها أحضرت الكتاب لأنها فكرت أنه قد يشعر بالملل في وقت ما من حديثها أو رفقتها ويرغب فقط أن يجلس بمفرده. كيف لها أن تعلم كيف يتصرف وهو ما زال مجهولاً بالنسبة لها؟

ما إن توجهت أفكارها نحو المرارة والخيبة، حتى عاد الاحباط يتزايد في داخلها من جديد. إنها امرأة أعمال ناجحة، حباً بالله! هي تعلم كيف تتحدث مع الناس، وكيف تدير نقاشاً مشوقاً، لماذا تنظر إلى نفسها بهذه النظرة الوضيعة الآن؟ لا يمكنها أن تستمر بإلقاء اللوم على وفاة بولي وغضبها من والديها لحمايتهما المفرطة لتبرير تلك التصرفات السلبية. عليها أن تتذكر أنها المسؤولة عن نفسها، وأن عليها ألاّ تستسلم إلى الوضع اليائس في ماضيها.

- لنذهب، إذاً!

ظهرت على فمه الجذاب ابتسامة صغيرة غامضة، وهو يضع يده بتملك تحت مرفق أنيتا. سمحت له أن يسير ممسكاً بها عبر الحشود نحو الجهة المقابلة للمرفأ، حيث سيلتقيان بربان قاربهما. كلما ابتعدا عن السائحين، كلما شعرت أنيتا بأن ليسندر يبدو أكثر راحة. شعرت فقط بالحماس والإثارة اللتين سيطرتا على أعصابها بسبب لمسته. نظرت إلى اليخوت الرائعة التي تطفو بجلالة فوق المياه، وبصدق لم تشعر بأي حسد على الإطلاق من أصحابها. قد يملكون الغنى وحتى أكثر مما تستطيع تخيله، لكن أنيتا تملك النهار،

www.elromancia.com

بالإضافة إلى إطراء رجل فاتن يسير بقربها، راغباً في إمضاء هذا النهار برفقتها.

توفيت أغلى صديقة لديها، وما لبثت أن اكتشفت أنها ليست الابنة الطبيعية لوالديها، لكن في هذه اللحظة بالذات، لم تتمنَ أنيتا أي شيء أكثر مما تحصل عليه الآن.

٤ . رحلة إلى شاطئ الأحلام

رسا نيكوس بالقارب عند زاوية الكهف، وشد الوثاق إلى وتد خشبي قريب في نهاية مرسى السفن الصغير المبني لهذا الغرض.

فكرت أنيتا أن عدداً قليلاً من الناس يلاحظون وجود هذا المرفأ الصغير الخاص، لكن من الواضح أنه يستعمل من قبل من يعرف بوجوده، وإلاّ لما كان هذا المكان موجوداً من الأساس. تبعت ليسندر خارج القارب على امتداد الشاطئ الجميل، إنه بالفعل كهف منعزل ومنظر طبيعي رائع يستحق أن يصبح صورة تمثل البلاد في الخارج. على الفور شعرت أنيتا بالفرح لأن نيكوس عمل على إرساء القارب، ما يعني أنه سوف يبقى معهما طوال فترة بقائهما هناك.

فجأة لمع في خاطرها أنها وليسندر الشخصان الوحيدان على هذا الشاطئ. لعدة لحظات، شعرت بمعدتها تضطرب بعنف من إدراكها لتلك الحقيقة. تمنت لو أنه لم يعانقها ليلة البارحة، لأنها لم تستطع إبعاد ذكريات مشاعرها من مخيلتها. كادت تقسم أن لمساته تركت آثاراً خفية عليها عندما عانقها، وما تزال حتى الآن تشعر بوخز خفيف بسبب ذكرياتها العميقة. غير أن مجرد لمسة غير مؤذية من شاب لفتاة يجب ألاّ تحدث كل ذلك الثوران الزلزالي الذي لا تزال تشعر به بصدق. لكن رغم إحساسها بالصدمة، هذا ما حدث لها بالفعل.

لم تمرّ أنيتا بعلاقة عاطفية منذ وقت طويل، تلك هي المشكلة!

www.elromancia.com

وإلاّ فأي سبب آخر يجعلها تشعر وكأنها تسير عارية القدمين على طريق حارة مغطاة بالإسفلت، قرب رجل جذاب مثل ليسندر؟

رأت مجموعة قليلة من المقاعد الطويلة للاستلقاء تحت الشمس موضوعة على الرمال. وضع ليسندر منشفته المطوية على الأرض وخلع قميصه. سحب مقعدين ووضعهما قرب بعضهما بعيداً عن المقاعد الأخرى، تحت مظلة واسعة من القش ثبتت قاعدتها في قالب صغير من الإسمنت لتبقى منتصبة. قام بذلك من دون أن يتكلم، وراقبت أنيتا عضلات صدره العاري تتحرك وتتقلص وهو ينحني ليحرك المقاعد الطويلة. توقف قلبها عن الخفقان تقريباً عندما وقف مستقيماً أخيراً، وابتسم لها ابتسامة مخادعة أثارت غضبها، لأنها علمت أن قدميها قد جُذرتا في الأرض.

سألها وهو ينفض منشفته وينشرها على أحد المقاعد: «أليس هذا المكان رائعاً؟».

تمكنت من التخلص من الضيق في حلقها بصعوبة، وأجبرت شفتيها المتجمدتين على إظهار ابتسامة صغيرة. صلّت بحرارة أن تتمكن من الابتسام بارتياح، لأنها خشيت أن تعكس ابتسامتها ملامح الخوف والحذر.

- إنه مكان جميل، لكنه منعزل كثيراً عن الناس.

دفعت نظارتيها إلى أعلى أنفها هي تحدق بعصبية لتمسح الشاطئ بنظرها بكل تفاصيله.

قال ليسندر: «أعطيني منشفتك».

وعندما أعطته أنيتا المنشفة من حقيبتها المصنوعة من القش، ليضعها فوق المقعد الطويل، ابتسم بمرح ما إن وقع مع المنشفة ثوب السباحة الأسود الصغير.

أرادت أن ترتدي ثوب السباحة في الفندق، وترتدي فوقه فستانها الصيفي، لكنها شعرت بالتوتر والشوق للرحلة في القارب برفقة ليسندر، وهكذا لفته في منشفتها بصورة آلية، كما تفعل عادة في بلادها عندما تذهب للسباحة. لمع في فكرها الآن أن عليها تبديل ثيابها وراء صخرة كبيرة أو بعض النباتات الشائكة أو ربما في الكهف إذا أرادت ارتداءه لتتمكن من السباحة، وهذا بالطبع لن يساعدها لتشعر بأنها تبدو أنيقة بالشكل المناسب.

شعرت بحبات من العرق تنحدر على عمودها الفقري وبين كتفيها لمجرد التفكير أنها ستبدل ثيابها في مكان قريب من هذا الرجل.

قال لها وهو يحمل ثوب السباحة ويقدمه لها: «لا بد أنك ستبدلين ثيابك في مكان ما».

- كان علي تبديل ثيابي في الفندق، لكن... لا بد أنني انشغلت بشيء ما.

اعترفت بذلك وهي ترفع إحدى كتفيها، وكأنها تفسر ما حدث معها بطريقة بسيطة، وتابعت: «أنا لا أرغب في السباحة الآن. في الحقيقة، أعتقد أنني سأستلقي هنا لفترة وأقرأ في الكتاب، إن كنت لا تمانع؟».

كجواب عن سؤالها، تكورت شفتا ليسندر عن ابتسامة صغيرة غير واضحة الملامح. خلع بنطلونه القصير ببساطة وكان يرتدي تحته ثوباً للسباحة. حدقت أنيتا مندهشة بعضلاته الصلبة، وأطرافه المنسقة، بينما أخذت بشرته البرونزية تلمع بشدة. وشعرت على الفور بحرارة شديدة تجتاحها.

قال لها: «أنا أود السباحة لفترة طويلة».

مال برأسه نحو المحيط الهادئ الزبرجدي الذي يرتطم برفق

بالشاطئ. وتابع قائلاً: «إذاً، استمتعي بكتابك، وسأراك بعد فترة قصيرة. إذا أردت شيئاً من الطعام أو الشراب من القارب، اطلبي من نيكوس ما تريدينه. قلت له إننا سنأكل عند الساعة الواحدة تقريباً.

بالكاد تمكن من إبعاد نظراته عن ساقي أنيتا النحيلتين الطويلتين، الظاهرتين تحت الفستان الزهري اللون، توصل ليسندر إلى استنتاج سريع أنه بحاجة فعلاً إلى صدمة بالمياه الباردة المثلجة ليتمكن من تهدئة إحساسه على الفور.

لاحظ نيكوس أيضاً جمال أنيتا الصاعق عندما كانا في القارب، أي رجل يتمتع بحس طبيعي ولا يلاحظ ذلك؟ وقد شعر ليسندر بالغضب عندما تفوه نيكوس بمزحة بذيئة أمامه. في الواقع، شعر بالدهشة لإحساسه بالغيرة من رجال آخرين يرمقون بنظرات غرامية امرأة التقى بها منذ فترة قصيرة.

الآن، وهو يسير بخطوات واسعة على الرمال، أخذ يفكر أنه كان بإمكانه أن يأخذ أنيتا إلى شاطئ أكثر سحراً من هذا. لكن عندها لن يحظيا بالخصوصية أو بالعزلة التي يتمتع بها هذا المكان. والأمر الأكثر أهمية، أنه سيجبر عندها على الإفصاح عن أصله الثري، لأن استعمال الشواطئ التي يرتادها هو وأصدقاؤه بصورة دائمة يعني أنه عضو في ناد للأثرياء، وهو لا يريد أن يفعل ذلك. فهدفه الأساسي لهذا اليوم هو بكل بساطة أن يستمتع برفقة أنيتا، وهو يكتشف الآن أنه لا يشعر بأي ميل ليشارك رفقتها الحلوة مع أي شخص آخر، لا سيما أصدقاءه الفضوليين وزملاءه الذين سيرغبون بمعرفة من تكون أنيتا، ليقدموا بدون أي شك تقريراً مفصلاً لوالده عن رفيقته الجذابة الجديدة.

استسلمت أنيتا للنوم تحت ظل خيمة القش، فيما تركت كتابها مفتوحاً في حضنها. لكن الشمس الحارة بقيت مسلطة على قدميها وساقيها، فأصبحت تنخز بألم من جراء الحرارة الحارقة، ما إن فتحت أنيتا عينيها.

كانت تحلم بأمها، لكنها لم تستطع أن تتبين ملامحها مطلقاً. رأت شعراً أسود طويلا، تماماً كشعرها، رأتها تتحدث إليها بلطف شديد، وكأنها ما زالت طفلة صغيرة. جعل لطفها أنيتا تشعر بشوق قوي إليها، حتى إنها تجمدت في مكانها من المأساة المؤثرة لخسارتها. بدأ قلبها يعتصر بألم لا يحتمل بسبب الفرصة التي أتيحت لها لتتعرف على المرأة التي أنجبتها إلى الحياة.

أخذت نفساً عميقاً متقطعاً... حاولت بقوة أن ترمش كي تمنع الدموع الحارة التي تشكلت في عينيها من السقوط، وأجبرت نفسها على إعطاء فرصة للعواطف لتطفو من أعماقها. هل أتت أمها من مكان كهذا؟ هل ضحكت ولعبت مع أصدقائها في كهف صغير يشبه هذا الكهف عندما كانت يافعة؟ أم أن حياتها اليومية كانت صعبة فكانت تكدح في العمل، محاولة التخفيف من أعباء عائلتها مثل أفيجينا، المرأة ذات العينين المليئتين بالأسى التي حدقت بها وهي ممزقة الفؤاد في صورة ليسندر المعبرة؟

بحثت في حقيبتها عن زجاجة المياه التي أحضرتها معها، لأنها شعرت بغصة كبيرة في حلقها وأصبحت بحاجة إلى مسكن ومخفف لآلامها. حاولت أنيتا أن تبعد عنها خيبة أملها غير المتوقعة. بعد أن شربت، حدقت في البحر لكنها لم ترَ شيئاً.

ما السبب الذي دفع أمها المسكينة للسفر إلى إنكلترا، لتلد طفلتها في ظروف قاسية أجبرتها على تركها في المستشفى كي يرعاها

أشخاص غيرها؟ أخبرها والداها أن الشرطة بحثت عن أمها لفترة طويلة لكن لم يحالفها الحظ بإيجادها. اختفت بكل بساطة، دون أن تترك أي أثر لها. فكرت أنيتا بانزعاج، لا بد أن والدتها احتاجت لرعاية طبية بعد الولادة، فهل وجدت أحداً ما لمساعدتها؟ وما الذي حدث لزوجها، أي لوالد أنيتا؟ ما الذي حدث له؟

استغرقت في أفكارها، فلم تلاحظ وصول ليسندر حتى أصبح بجانبها. ربما لاحظ الألم والأسى الذي بدا واضحاً على وجهها لكنه لم يظهر أي إشارة أو تعليق على ذلك. عوضاً عن هذا نظر إلى ساقيها وتجهم وجهه، كأنها طفلة أعطاها تعليمات واضحة، وهو الآن يرى بانزعاج أن تلك التعليمات لم تنفذ!

قال بجدية: «عودي إلى القارب، عليك الابتعاد عن الحرارة لفترة وشرب شيء ما».

تابع بنبرة ملؤها القلق: «أصيبت ساقاكِ بحروق بسبب أشعة الشمس!».

بدت بشرته الرطبة كجلد عجل البحر بسبب السباحة. وبهزة رافضة من رأسه الذي يعلوه الشعر الأشقر الغامق، مرر ليسندر أصابعه على ساقي أنيتا المحمرتين. جعلتها لمسته غير المتوقعة تجفل من الألم، واستغربت التأثير القوي لتلك اللمسة العادية على بشرتها الناعمة.

- لا بد أنني نمت قليلاً.

- هل وضعت واقياً للشمس قبل أن تنامي؟

بالطبع فعلت ذلك. فهي ليست معتوهة بالكامل! أجابته قائلة: «وضعت الكثير منه، وهو من النوع الجيّد أيضاً. لكن الشمس كما يبدو قوية جداً».

نظر ليسندر إليها مجدّداً بنظرة أشعرتها كأنها لا تملك حتى ذكاء طفلة، وقال: «الآن، لا شك أنك ستتألمين».

وإن يكن، فما الشيء الجديد في ذلك؟ بدا لها كأنها لا تفعل شيئاً في المدة الأخيرة إلاّ الشعور بالألم. وبإحراج شديد، امتلأت عيناها بالدموع. مدَّ ليسندر يده وأمسك بذقنها قبل أن تتمكن من مسحها، وقال: «لن تتألمي إلى هذه الدرجة، جميلتي أنيتا! اجلسي وسأضع لك بعضاً من الكريم المرطب».

- كان عليَّ الذهاب معك للسباحة.

ابتسم ليسندر بدون أي تحفظ لعينيها الدامعتين، وقال: «نعم، كان عليك القيام بذلك. لكن لا تهتمي، سيكون هناك فرص أخرى».

أدار رأسه نحو نيكوس الذي كان ينظر إليها بإعجاب واضح. أعطى ليسندر الرجل بعض التعليمات الواضحة باللغة اليونانية فغادر الشاب المتسكع الذي يقود القارب مذعناً، وسار مبتعداً وهو يشعل سيجارة.

سألت أنيتا وهي تشعر بكتفيها تتوتران: «إلى أين يذهب؟».

بهرها لمعان في عيني ليسندر الزرقاوين المرحتين حين أجابها: «ذهب ليتمشى قليلاً. فقد أمضى الكثير من الوقت داخل القارب وهو بحاجة لبعض الرياضة».

- أنت تسخر مني!

شعرت بالضيق لأنها خرقاء، وعلمت أن كتفيها أصبحتا أكثر تصلباً. هي لم تشعر يوماً أنها مرتبكة ومتوترة هكذا، ولم تتأثر يوماً برجل في حياتها إلى هذا الحد. جعلها ذلك تتصرف كأنها امرأة مختلفة تماماً عنها لا تستطيع معرفتها.

www.elromancia.com

- لن أسخر منك مطلقاً، أنيتا. صدقيني!

أمسك الكريم المرطب، وسكب كمية وافرة منه على راحة يده، وركع قربها حيث جلست على مقعدٍ وثير، ثم بدأ بنعومة يضعه على ساقيها. أجفلت مرة ثانية، لكن هذه المرة لأسباب مختلفة. وجدت نفسها تتمنى لو أنه ارتدى قميصه على الأقل. بدا كثيراً على فتاة مثلها أن تتقبل ذلك الجسم البرونزي الذي يلمع بقوة أمامها، فكيف بها تتقبل رؤيته وهو يضع الكريم المرطب على بشرتها؟!

مجرد لمس بشرتها جعل ليسندر يشعر بحرارة مرتفعة، مع أن سبب ملامستها لا علاقة له مباشرة بالتودد إليها.

عندما قام ليسندر بالسباحة، كل ما فكّر به هو الفتاة التي تركها وراءه على الشاطئ، فهي خجولة جداً لترتدي ثوب السباحة وتستلقي تحت الشمس. لم يفكر ولو للحظة بمأساته الماضية، والعلاقة المتوترة بينه وبين والده، وبالمخطط الذي يعمل عليه ليعلقه بإلكترا كومانيديس كي يتمكن من توسيع إمبراطورية العائلة بدون أية شفقة أو رحمة. اكتشف ليسندر بقوة ويتعجب أن هذه المرأة المرحة والمدهشة المتميّزة عن الجميلات المترفات الثريات اللواتي يصادفهنّ، لديها القوة لتأسره وتسحره بشكل ملفت للنظر.

تماماً كما فعلت مريانا عندما التقى بها للمرة الأولى، حين أتت إليه بشكل متعمد مع والده. تخلص من الفكرة بسرعة وبفقدان صبر. فهذا الانجذاب الجديد غير متوقع، ولن يستطيع أن ينكر كم يروق له. نعم، هو يريد أن يغازل أنيتا، لكن هل سيكون من الحكمة أن يتمادى معها ليتعرف عليها أكثر؟ إنه بالتأكيد لن يتمكن من البقاء هادئاً وصبوراً وهو ينظر إلى امرأة جذابة مثلها!

استمر بوضع الكريم المرطب على ساقيها النحيلتين، رغم مرور

فترة طويلة على تحقيق السبب الذي لأجله يفعل ذلك. رفع نظره ليجد عينيها البنيتين الجذّيتين تراقبانه بمزيج من الشوق والحيرة المعكوستين في أعماقهما.

الصوت الناعم الذي يحدثه تلاطم المياه على جانب القارب أثار لديه إحساساً قوياً بالتأمل، جعله بدون وعي منه يصغي إلى صوت الموجات المتلاحقة، ما ولّد توتراً متوقعاً لديه. سمع أنيتا تتنفس ببطء ثم تزفر تلك الأنفاس. امتزجت رائحة الكريم مع رائحة محرك الديزل والطلاء التي ظهرت قوية بسبب حرارة الشمس، والتفت ليسندر حوله شاعراً بالخدر وكأن أنيتا سيطرت على حواسه بحدة مؤلمة.

شعر بالحرارة في جسمه تقوى وتتكثف ببطء. نهض على قدميه، وأمسك بيدي أنيتا. شدها بقوة إلى صدره، واضعاً يديه وراء رأسها وعانقها... لم يسبق لأحد أن عانقها، مثل ذلك العناق القوي...

انقاد ليسندر للرغبة والحدس الغريزيين المسيطرين عليه، وجعل ذلك العناق يطول ويطول. لم تقاومه أنيتا، بل وضعت يديها على كتفيه، وضمته بقوة لتقترب منه أكثر.

حاجته القوية إليها جعلته يشعر وكأنه يعاني من الهذيان بسبب حمى مسيطرة عليه.

هو ببساطة يريدها! لو أنه يستطيع أن يطير معها لبعض الوقت خارج الزمن، لربما تمكن من التخلص من مأساة ماضيه ومن الثقل الهائل لمسؤوليات العائلة. سيشعر عندها بقليل من النور بدل ذلك الظلام كله. فرضت تلك الفكرة نفسها عليه بالقوة!

لكنهما ليسا بمفردهما. ولا رغبة لليسندر أن يسمح لنيكوس بمراقبتهما رغم معرفته بأنه موظف أمين. لكنه قد يرغب بمشاركة

زوجته بما رآه بعد أن يغادر ليسندر وأنيتا القارب.

لو أنه أخذها في أحد قواربه الكثيرة، لكان الأمر مختلفاً جداً. لكن ليسندر ليس جاهزاً بعد ليصرح عن شخصيته الحقيقية لأنيتا، ليس وهو يستمتع بالحرية التي يمنحه إياها كونه مجرد مصور عادي في عينيها.

انتبهت أنيتا على الفور حين بدأ ليسندر بالابتعاد عنها. أصبح عناقه بطيئاً، ثم توقف. بدا من الواضح أنه الأكثر تعقلاً بينهما، فمن الجنون التفكير أن بإمكانهما تبادل العناق لمدة أطول هنا في القارب في وضح النهار، لكنها لم تستطع إلاّ الإحساس بالشوق إليه. فعناق ليسندر ويداه القويتان وجسده الرائع، جعلتها تشعر بالشوق بقوة مؤلمة.

سيطر الاحباط على أعصابها المضطربة، كجدار من الفولاذ مانعاً إياها من الدخول. لكن عليها أن تتقبل انسحاب ليسندر، وتكون منطقية أيضاً. لقد أتت إلى هنا باحثة عن نفسها، أو ربما لتفتش عن أي أثر للمرأة التي أنجبتها إلى الحياة... لإيجاد آثار قليلة لأسلافها التي تجري دماؤهم في عروقها. لم تأتِ لتستسلم إلى علاقة قصيرة مع شخص غريب من هذه البلاد.

ابتعدت قليلاً عنه، وقد أصبحت يداه ضعيفتين على ذراعيها. رفعت أنيتا يدها إلى شعرها لترتبه، وأبعدت نظرها بخجل عن ليسندر، مع أنها لم ترغب بشيء أكثر من النظر إلى عينيه الساحرتين حتى الأبدية.

- أنيتا!

- نعم؟

اصطدمت عيناها البنيتان بقلق مع عينيه الزرقاوين المذهلتين،

ووجدت نفسها تكرر بشدة جملة صغيرة في رأسها بينما كانت تنتظره ليكمل ما بدأ بقوله: لا تقل لي إنك نادم على ما حدث، ولا تقل إن ذلك مجرد غلطة...

- أريد كثيراً أن أعيش معك أجمل اللحظات، لكن قارب نيكوس ليس المكان المناسب لمثل هذه الأحاسيس. أنت تفهمين ذلك بالطبع!

أخرجت أنيتا أنفاسها ببطء فيما تبخرت تلك الجملة من رأسها كلياً. وجدت نفسها تطفو في محيط مذهل من السعادة التي تغمرها براحة مباركة مليئة بالامتنان.

- بالطبع.. أعرف ذلك.

ابتسمت ابتسامة مرتجفة وتابعت: «الحرارة شديدة اليوم، أليس كذلك؟».

مسحت بيدها عنقها من الجهة الخلفية وقالت: «أتساءل كم هي الحرارة في الخارج؟».

لم يكن ليسندر يعلم كم هي الحرارة في الخارج، لكن هنا في الداخل كانت الحرارة بالطبع تزيد عن درجة الغليان.

توصل إلى استنتاج سريع؛ في نهاية الأمسية لن يعطي أنيتا تلك التحية البسيطة متمنياً لها ليلة سعيدة. بل سيقترح عليها أن تعود معه إلى منزله. وإن رآهما أحد معاً ونقل ذلك إلى والده، إذاً فليكن ذلك. فعلاقاته الخاصة ليست من شأن ليونيداس! لم يكن ذلك من شأنه في الماضي ومن المؤكد أنه لن يصبح كذلك الآن. لن يستسلم ليسندر لأي نوع من الضغط من قبل والده ليتعرف على إلكترا كومانيديس لمصلحة تطوير المنزلة الرفيعة لعائلته الثرية، ولزيادة قوة أعمال عائلة روساكيس. وهو لن يتخلى عن فرصة إقامة علاقة متينة

www.elromancia.com

أكثر مع أنيتا.

قال مخاطباً أنيتا وهو يبتسم: «سأذهب لأجد نيكوس. أعتقد أنه حان الوقت ليحضر لنا الغداء، أليس كذلك؟».

٥ - تعالي معي!

اتفقا على تناول العشاء في أحد المطاعم المشرفة على البحر غير المكتظ بالناس. يقع المطعم إلى جانب شارع جميل، مزين بزهور البوغنفلية الحمراء والزهرية الألوان التي تتسلق الجدران البيضاء، كما أنه لا يبعد كثيراً عن فندق أنيتا. لكن الآن، ها هي تجلس في الخارج، إلى طاولة مغطاة بقماش مربع من اللونين الأحمر والأبيض تنتظر وصول ليسندر، وقد أخذ هواء البحر المتوسط يهمس بنعومة على بشرتها التي لوحتها الشمس. لم تستطع إلاّ أن تسأل نفسها ما هي الحكمة من الموافقة على موعد جديد معه.

اليوم، في القارب، عاشت تجربة من أكثر التجارب إحساساً في حياتها. في تلك اللحظات من اللهفة القوية نسيت اسمها تقريباً، وفي أي يوم من الأسبوع هي الآن. نسيت حتى اسم البلد الذي هي فيه، ولم تعد تهتم أبداً للسبب الذي لأجله أتت إليه. لا شك أنها ستسبب العذاب لنفسها إذا استمرت برؤيته. لم تتوهم للحظة أنه سيكون سهلاً عليها الابتعاد عنه عندما يحين الوقت، وذلك الوقت سيأتي قريباً بدون أي شك. إنها ليست من النساء اللواتي يعتبرن أمراً كهذا تجربة عابرة، وبإمكانهن الابتعاد بسهولة عندما ينتهي الأمر. سيطرت عليها تلك الأفكار طوال النهار.

الآن أصبحت قضيتها مزدوجة، فما زال قلبها مثقلاً بالحزن على صديقتها بولي. وهي تعاني من سرعة التأثر العاطفي، وهذا سبب

www.elromancia.com

آخر كافٍ لتتجنب أي تورط عاطفي مع ليسندر. شعرت أنيتا بإحساس مدمِّر كونها لا تستطيع الكتابة أو الاتصال هاتفياً بصديقتها المقربة لتشاركها شكوكها ومخاوفها.

بالإضافة إلى ذلك، ها هي تبحث عن نوع مختلف من الارتباط لن يوصلها أبداً إلى معرفة أصلها اليوناني. في الحقيقة، فكرت أنها تبحث عن نفسها أيضاً، لأن أنيتا داين الحقيقية غير موجودة. كيف بإمكانها أن تكون حقيقية، في حين أن حياتها بُنيت على الأكاذيب والخداع؟ ربما أخفى والداها عنها موضوع تبنيها من أجل حمايتها من الألم، فما من طفلة تريد أن تعرف أن والدتها تخلت عنها منذ الولادة! لكنها أصبحت بالغة منذ وقت طويل جداً. كيف يمكن للكذب، وإخفاء الحقيقة عن ماضيها، أن يحميها من أي شيء؟ من الصعب على أنيتا أن تفهم كيف تمكن والداها اللذان أحبتهما أكثر من أي شخص آخر في حياتها أن يفعلا هذا بها.

شعرت بثقل أحزانها يضغط بقوة فوق صدرها، كأن جداراً ضخماً انهار عليها حجراً فوق حجر، مسبباً لها ألماً شديداً. مدّت يدها إلى كوب الماء وشربت قليلاً. لاحظت أنيتا أن النادل، وهو شاب وسيم حقاً، بدا مكتئباً أيضاً، وهو يميل برأسه قليلاً ناحيتها وكأنه يعرفها بينما كان يقف عند باب المقهى، واضعاً يديه على خاصرتيه. لاحظت أنه يملك عينين تشعان بالحياة والبحث عن المجهول، وأن جسده نحيل، كما لو أن التوتر المكبوت في داخله يقول إنه بانتظار فرصة ليتخلص من قيود عائلته ومنزله. ظهر ذلك كله على محيّا الشاب، ما جعل أنيتا تشعر بسخطه واستيائه. تمنت لو أنها تستطيع أن تخبره كم هو محظوظ! أرادت أن تقول له ألاّ يكون في عجلة للهرب من شيء سيشتاق إليه يوماً ويتمناه. هو

محظوظ جداً لأنه يملك تلك الجذور الثابتة، سلالته قد تكون قديمة جداً، في حين أنها...

لم يكن بمقدورها أن تفعل ذلك. إنها يائسة، بعيدة عن التوازن ومظلومة. عليها أن تكون بمفردها لتتمكن من إيجاد الأشياء التي تتوق إلى معرفتها عن أرض أمها الحقيقية، عليها ألاّ تشغل نفسها بأمور تعمل على تشتيت أفكارها، مثل علاقة غرامية لا مستقبل لها. حاولت أن تواسي نفسها بحقيقة أن رجلاً لطيفاً مليئاً بالحيوية مثل ليسندر لن ينزعج كثيراً من قطع علاقتهما التي لا تتعدى أكثر من تعارفهما القصير. سيجد المصور الوسيم قريباً سائحة جميلة راغبة بالتمتع بعدة أيام برفقته، إذا كان هذا ما يبحث عنه، وهي لا تشك بذلك.

اجتاحتها موجة من الغيرة والندم من مجرد التفكير أنه مع فتاة غيرها. بتصميم قوي أبعدت الشعور المقلق جانباً، ونهضت على قدميها، وطوت سترتها على ذراعها، ثم نزعت الشريط الجلدي لحقيبتها عن زاوية الكرسي الذي كانت تجلس عليه، واستعدت لمغادرة المطعم.

أتى النادل الشاب، الذي بدا شوقه قوياً لمغادرة هذا المكان إلى أي مكان آخر في هذا العالم، على الفور إليها، ولم يخفِ استغرابه حين قال:

- هل ستغادرين من دون تناول العشاء؟.

- أعاني من صداع. إن أتى صديقي باحثاً عني، هل يمكنك أن تخبره أنني عدت إلى الفندق كي أرتاح؟ إنه يدعى ليسندر.

- حسناً، سأخبره. ربما يمكنك العودة غداً؟

- ربما!

- عمت مساء، وإلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

رفعت كتفيها قليلاً، راغبة في الابتعاد قبل وصول ليسندر كي لا تحتاج لتفسير الأمر له، وغادرت المقهى مبتعدة عبر الشارع.

* * *

أيقظتها دقات قوية على باب غرفتها. استلقت على سريرها وهي لا تزال ترتدي الثياب التي خرجت بها إلى المقهى ولا بد أنها استسلمت للنوم قليلاً. كانت الغرفة حارة جداً ومليئة بالمفروشات، ورغبت بالنوم بسبب إحساسها بالضعف والتعب معاً. أمّا الآن، ها هي تحدق في الباب المغلق لمدة تجاوزت الثلاثين ثانية قبل أن تقول: «من الطارق؟».

لا يزال صوتها متعباً من آثار النوم، لذا بدا أجش وغريباً حتى بالنسبة لها.

قبل أن يجيب زائرها علمت أنه ليسندر...

ربما كان عليها أن تنتظر حتى تتحدث معه وجهاً لوجه بدلاً من الهروب هكذا. ما الذي كانت تفكر فيه؟ المشكلة هي أنها سمحت لمخاوفها أن تسيطر عليها ثانية، وببساطة، تركتها تقودها حيث تشاء. لم تفكر مطلقاً بنتائج ذلك التصرف. والآن، ها هي تشعر بالندم لأنها تصرفت بتهور من دون تفكير عميق.

- أنا ليسندر. افتحي الباب، أنيتا. أريد التحدث إليك.

بإمكانها القول إنها أصيبت بصداع مؤلم جداً، لمعت تلك الفكرة برأسها. لكنها ليست جبانة، وهي ستواجه الأمر الآن تماماً كما كان عليها أن تفعل منذ البداية. بكل الأحوال، هو يستحق تفسيراً، لا سيما بعد تصرفاته اللطيفة جداً باصطحابها إلى العشاء واستئجاره

قارباً للتنزه طوال النهار.

- انتظر قليلاً، إذاً.

وضعت قدميها على الأرض بجانب السرير المزدوج ذي الغطاء الأبيض البسيط، وشعرت ببعض الراحة بسبب الإحساس المثير لملامسة قدميها العاريتين الرخام البارد. كانت الحرارة في الغرفة مثقلة وشديدة الوطأة. بالكاد شعرت بالدهشة من ذلك، نظراً لأن الجهاز القديم الطراز الذي وضع ليكون مكيفاً للهواء يبدو كأنه سيسقط على الأرض.

- لماذا لم تنتظريني في المقهى؟ هل أصبت بصداع حقاً؟

بدت في عينيه المشعتين نظرة اتهام مختصرة. مرَّ من أمامها وهي تحدق به مندهشة، وسار بخطى غاضبة داخل الغرفة. عضت على شفتها السفلى بعصبية. وببطء، دفعت أنيتا الباب وراءهما لتغلقه. حاولت بسرعة أن تستجمع قوتها ثانية أمام جاذبيته المطلقة. عاش ليسندر خيبة أمل كبيرة عندما وصل إلى المقهى ليجد هناك من يخبره أن صديقته عادت إلى الفندق، وهي تعاني من صداع. لم يكن يرغب في تجربة ذلك الإحساس مرة ثانية وبعد فترة قصيرة جداً. كما أنه لم يرحب بالشك الواضح في عيني النادل الذي نقل إليه الأخبار. إذ بدت عيناه وكأنهما تقولان بوضوح: «ما الذي فعلته لتسبب لها الانزعاج؟».

خمّن ليسندر على الفور أن أنيتا لم تكن تعاني من أي صداع. حدس غريزي أعلمه أنها ببساطة بدلت رأيها بشأن رؤيته ثانية. والفكرة هذه بحد ذاتها أثارت غضبه، وطعنت كبرياءه المجروح كأنها مشرط حاد. قد لا يكون فعلاً يبحث عن علاقة ما، لكن لم يسبق أن رفضته امرأة، لذا لم يستطع إلاَّ أن يشعر بالانزعاج من

www.elromancia.com

جراء ذلك. منذ أواخر سنين المراهقة وليسندر معتاد على انتقاء النساء الجميلات. هو لا يستحق أن ترفضه المرأة الأولى التي أعجب بها بعد سنتين طويلتين من وفاة زوجته.

- إني آسفة بشأن الحرارة الشديدة هنا، لكن لا أعتقد أن مكيف الهواء يعمل بشكل صحيح.

أتت ابتسامتها متوترة قليلاً، وببطء مسحت أنيتا جبهتها بيدها. تابع ليسندر حركتها الجذابة التي لم تتقصدها بإحساس قوي في داخله، ما جعل انتباهه يتحول إلى مشاعر مؤلمة بشكل حاد. لم يشعر ليسندر يوماً بالتأثر بامرأة هكذا في حياته كلها...

- آسفة لأنني لم أنتظرك في المطعم، كان ذلك تصرفاً فظاً من قبلي. أنا عادة لا أتصرف هكذا، لكن.. الحقيقة هي، أشعر كأنني تورطت بشيء ما كان عليّ أن أسمح بحدوثه، وأنا لا أعلم تماماً ما الذي سأفعله بشأن ذلك.

تجهم وجهها وتابعت: «عليك أن تفهم، أتيت إلى هنا محاولة أن أحل المشاكل في حياتي، لا أن أجعلها أكثر تعقيداً. كما أنني بحاجة إلى عطلة، فهناك أسباب أخرى دفعتني إلى المجيء إلى هنا. وإن بقيت معك فأنا لن أعطي الاهتمام الكافي لتلك الأسباب. لأكون صادقة تماماً، أعتقد أنه يجب، أن أبقى بمفردي لفترة. استمتعت حقاً بإمضاء الوقت برفقتك، لكن مع كل الأشياء التي أخبرتك عنها، أعتقد...».

توقفت عن المتابعة في وسط الجملة وهي متوترة، علمت أن ليسندر يحدق بها. بدت نظرته جريئة تدرسها بدقة. نظرتها إليه جعلتها تتنفس بتوتر، حاولت بيأس السيطرة على فيضان من الإحساس القوي الذي سيطر على حواسها كالعسل الذهبي المنصب

في شرايين دمها. عكست قميصه البيضاء الأنيقة وبنطلونه الأسود لون بشرته السمراء التي تشع حيوية ودفئاً. كل ذلك يبدو وسيماً جداً ولا يقاوم. ملامح وجهه القوية وشعره الأشقر الأشعث أضفيا المزيد من التأنق والاحترام على الصورة الكاملة التي تنضح جمالاً هذا المساء، بالمقارنة مع بنطلون الجينز العادي والقميص القصيرة الأكمام اللذين كانا يرتديهما عندما التقيا للمرة الأولى. سيطر عليها بذلك المظهر بقوة كبيرة، وجعلها تشعر بحاجات دفينة لم تشعر بها من قبل، ووجدت أنيتا نفسها غير قادرة على إيجاد وسيلة لإنقاذ نفسها. شعرت بألم قوي في داخلها وهي تسأل نفسها: هل تعلم حقاً عما تتخلى؟ هل لديها فكرة عما تفعله؟

راقبته يهز رأسه باقتناع، كأنه يحاول امتصاص ما قالته له للتو ويقوم بهضمه. بعد ذلك ابتسم. من الواضح أنه يلعب بمهارة وقسوة.

- أولاً، أعتقد أنك محقة بشأن مكيف الهواء.

قال ذلك بصوت منخفض كالنغم ما أثار قلقها واضطرابها، ثم تابع: «سأتحدث مع المدير المسؤول في الفندق ليعمل على إصلاحه. ثانياً، إنها ليست فكرة جيدة أن تبقي بمفردك وأنت تقولين بوضوح إن هناك أشياء تشغل بالك. في ظروف كهذه، من المفيد التحدث إلى الآخرين. أعتقد أن عليك القدوم معي إلى منزلي الليلة. سيكون ذلك أكثر راحة من غرفة الفندق الحارة هذه، وأعتقد أن أي حديث سنجريه نحن الاثنان سيكون من الأفضل القيام به هناك وليس هنا. أليس كذلك».

كانت أنيتا متأكدة بشكل مطلق أن العبارة الموجزة «أليس كذلك» التي تلفظ بها في آخر جملته هي كلمة عبارة روتينية ملحقة بالكاد

تطلب إجابة، لأن المعنى الضمني المفهوم في كلامه أنها بدون أي شك ستذهب معه إلى منزله الليلة. ولا مكان للنقاش والجدل بذلك.

وقاحته التي لا تقبل الجدل أثارت كل مكامن الغضب في أنيتا. ذكرها ذلك بوالدها، وبتصرفاته الاستبدادية نحوها. لطالما بدا مقتنعاً أنه دائماً يقوم بما هو الأفضل لها، مثل إبقاء خبر ولادتها ونسبها سراً. حسناً! لقد قررت منذ الآن وصاعداً أنها ستعمل على اتخاذ قراراتها بنفسها، بدون تدخل أي شخص آخر. لذا، بكل بساطة، لن تسمح لهذا الرجل أن يأخذ زمام المبادرة منها، ولن يحدث ما يطلبه منها مهما بدا من الصعب مقاومة جاذبيته.

- لا، ليسندر. لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة. أعتقد أنني أعرف ما هو الأفضل لي في هذه الظروف. إني آسفة إن كان قراري يزعجك. أما بالنسبة إلى مكيف الهواء، من فضلك لا تزعج نفسك بشأنه. فأنا قادرة تماماً على التحدث مع المسؤول عن الفندق بنفسي ليعمل على إصلاحه.

تمنى لو أنها تثق به لتخبره بما يشغل بها. ليس لأنه يستطيع أن يحل مشاكلها، لكنه يشعر بالاهتمام لمعرفة سبب اضطرابها. لكن في هذه اللحظة، ما يبدو أكثر أهمية له من اهتمامه بحل مشاكلها هو معرفته بأنها ترفضه.

لم يتوقع ليسندر أن تقدم أنيتا على رفضه للمرة الثانية! لكن حين نظر مباشرة إلى عينيها البنيتين الجميلتين رأى أنها شديدة العزم. قرارها غير المتوقع برفض اقتراحه بإمضاء الليل في منزله، زاد من غضبه ومن رغبته القوية نحوها.

على سطح القارب بدت سعيدة جداً برفقته... هو لم يكن يخدع

نفسه.. تساءل ليسندر لو علمت أنيتا من يكون بالفعل، وعرفت المنزلة المميزة لعائلته في هذه الجزر، هل ستتمسك بموقفها بالتخلي عنه؟

فجأةً تبدلت عواطف ليسندر، لم يعد يرغب في البقاء تحت اسم مستعار، والاستمرار في التظاهر أنه مجرد مصور بسيط. تملّكه شوق مفاجئ لاستخدام التأثير الكامل والسلطة القوية لاسم عائلته، إن كان هذا ما يحتاجه للحصول على أنيتا. لم يستطع تصديق الطريقة المجنونة التي يفكر بها! لكن هذه المرأة، هذه الفتاة الإنكليزية المسيطرة على نفسها، غذت شوقه إليها إلى درجة كبيرة والآن هو ببساطة لا يستطيع أن يتقبل رفضها له.

لكن، لا! لن يقدم على التخلي عن طبيعته الأساسية. فاهتمامه بها يقوم على رغبته بأن تحبه أنيتا لنفسه وليس بسبب ثراؤه، كما أنه لا يريد فعلاً أن يكتشف أن للمال دوراً مغرياً لديها. فهو يعلم أن خيبة أمله بها ستكون كبيرة جداً إن اكتشف ذلك.

بدلاً من القيام بذلك رفع كتفيه باستخفاف وقال: «أنت لا تتقبلين مساعدة الغير بسهولة، يمكنني أن أرى ذلك بوضوح. أنت تعتقدين أن رؤيتي ستعقد حياتك، لكنني أعتقد أنها ستساعدك لتشعري أنك بحالة أفضل، ولو لفترة قصيرة. ربما غداً، ستستيقظين صباحاً وأنت تفكرين بطريقة مختلفة. بالنسبة لي، سأتمنى بصدق أن يحدث هذا. وإذا احتجت للاتصال بي في الوقت الحالي، هذا هو عنوان منزلي في الجزيرة».

كتب العنوان على ظهر علبة كبريت رقيقة أخرجها من جيب سترته، وقدمها إلى أنيتا وقد ظهر تجهم خفيف بين حاجبيه. أردف قائلاً: «أعرف الأحزان جيداً، أنيتا، إذا كان هذا ما تشعرين به.

ومهما كانت الأسرار التي تسبب لك الألم، أعدك أنك ستكونين بأمان معي. أما الآن، فسأخرج بمفردي».

أخذت أنيتا تفكر بعمق في كلماته، وقد اعترتها مشاعر هي عبارة عن مزيج من الدهشة والعاطفة. أبقتها تلك المشاعر مسمرة في مكانها، بينما سار ليسندر بهدوء نحو الباب وغادر الغرفة.

* * *

مرت امرأة عجوز أمام المقهى حيث جلست تتناول قهوة الصباح. كانت المرأة ترتدي فستاناً باهت الألوان، وقد وضعت على رأسها شالاً أسود اللون. بدت بشرتها التي لوحتها الشمس سمراء مشرقة كالبندق، وقد علقت على ذراعها البرونزية سلة. وعندما مرت أمام متجر لعرض الفاكهة والخضار مواجهٍ للمقهى، مررت أصابعها عبر باقة من البقدونس الطازج، ثم قربتها من أنفها لتتنشق الرائحة القوية التي علقت على يديها. بدا هذا التصرف البسيط الأنيق لأنيتا كرقصة باليه رائعة. ومع ذلك التصرف الصغير المؤثر استمرت المرأة بالسير، وقد ظهرت على زاوية شفتيها ابتسامة كابتسامة الموناليزا. راحت تتمايل بمشيتها وهي تسير عبر المنحنى المنزلق المرصوف بالحجارة على الطريق العام بحذائها البالي.

راقبتها أنيتا بافتتان، وقد شعرت بإحساس قوي بالشوق لدرجة أنها تمنت لو تستطيع أن توقف المرأة وتتحدث معها. هل كانت جدتها تشبه هذه المرأة؟ هل كانت تسير في شارع مثل هذا، تمشي ببساطة وهي تحمل ابتسامة على وجهها، راضية بالقليل لا تطلب إلاّ أن يبقى أولادها بأمان، وما يكفي من المال لتؤمن لهم الطعام؟ استنتجت أنيتا غريزياً ومنطقياً أن أمها تحدرت بالتأكيد من عائلة فقيرة. وإلاّ لماذا ذهبت إلى إنكلترا، لتعمل على الأرجح خادمة في

الغرف، كما أخبرها والداها وكما اعتقدت الشرطة؟ وإلاّ لماذا تخلت عن طفلتها المولودة حديثاً؟

عادت كلمات ليسندر تلاحقها: «أنا أعرف الأحزان، إذا كان هذا ما تشعرين به».

فجأة تحول شوقها لتعرف المزيد عن أمها وعن أصلها، إلى شوق من نوع مختلف. هذا الشوق الكبير أتى من مكان عميق داخل روحها وهو موجّه لرجل يملك أجمل عينين زرقاوين متوهجتين رأتهما في حياتها؛ رجل يمتهن التصوير بجمال أخّاذ يجعل من يرى تلك الصور يتأثر حتى سكب الدمع.

* * *

وضع الكاميرا جانباً ليحدق بقوة بعدد من الشبان الذين كانوا يضحكون وهم يقفزون من فوق جدار المرفأ ليسبحوا في المحيط المتلألئ. لطالما مرّت أوقات لم يجد ليسندر فيها العزاء أو السعادة سوى في التقاط الصور. أما اليوم، فإنه لا يجد السلوان أو الفرح في أي شيء، حتى في التقاط الصور. لم يتمكن من إبعاد أنيتا عن فكره، وبقدر ما يرغب بها، ويتوق إلى رفقتها، بقدر ما تعذبه حقيقة أنها رفضته، وهذا ما لا يستطيع إبعاده عن رأسه. أمّا الآن فكل ما يفكّر به هو الطريقة التي تمكّنه من أن يعيدها إليه. تساءل لماذا يرغب الناس دائماً بالحصول على الأشياء التي لا يستطيعون الحصول عليها بسهولة؟

مرر أصابعه في شعره الأشعث بغضب لا يصدق. أي شخص ينظر من الخارج إلى حياته المليئة بالحظ والامتيازات سيعتقد أن ليسندر يحظى بكل ما يتمناه أي رجل. لكن ما لن يراه أحد أو يعرفه هو افتقاده لضم توأم روحه إليه... افتقاده لامرأة تهتم لأمره كثيراً

في الواقع. يتمنى ليسندر أن يكون لديه حبيبة، وليس مجرد امرأة جميلة يتمتع برفقتها، بل امرأة تجعله يمضي معها الوقت ببطء. امرأة رفقتها مرحة، لا امرأة مملة أو تافهة، امرأة... تماماً مثل أنيتا. مع كل غناه وكل امتيازات عائلته المهمة، لا يستطيع ماله شراء الأشياء الأهم التي يتوق إليها.

في لحظة ضعف، وأثناء الاتصال الهاتفي المحرك للعواطف مع أمه هذا الصباح، وافق ليسندر على مضض على العودة إلى أثينا ليلة السبت لإسعاد والده بالانضمام إليه أثناء العشاء مع ضيفهما طاكس كومانيديس وابنته إلكترا. قالت له أمه إن ليونيداس لم يفعل شيئاً سوى الاستغراق في التفكير بكآبة منذ أن تكلم لآخر مرة مع ابنه، وهي تخشى أن يصيبه المرض بسبب ذلك.

شك فعلاً أن تكون هذه حالة والده. هو يعلم أن العجوز المحتال أقدم على تقطيب وجهه كالطفل لأنه لم يتمكن من الوصول إلى ما يريده، لأول مرة في حياته. وبالرغم من ذلك أذعن ليسندر لطلب أمه، فهو يحب غالاتيا حتى العبادة، وليست غلطتها أن زوجها يحب السيطرة على عائلته كالبيدق في رقعة الشطرنج. شعر بتوتر كبير لأن عليه مواجهة حفلة العشاء التي لا يريد حضورها، وسيضطر حينها إلى التحدث ولو لوقت قصير جداً مع صديق والده وابنته، وهو يعلم أن الجميع سيعملون على مراقبته مع إلكترا، وسيبتسمون لهما ليشجعوهما على حديث قد يجبران على القيام به. التقط كاميرته من حيث وضعها على صخرة قريبة، وسار مبتعداً إلى جانب التلة، وهو في مزاج سوداوي قاتم.

٦ - حبيبان، في أي مكان

حاولت أنيتا إقناع نفسها أنها مترددة في الذهاب إلى منزل ليسندر، لكن ذلك مجرد كذبة. اكتشفت بسرعة أن هناك أشياء في الحياة لا يمكنك أن تقاومها بكل بساطة. إحدى تلك الأشياء هي الشوق الذي ينمو ويمتد حتى يخرج عن الحدود التي تفرضها على نفسك، مهما حاولت أن تقاوم الخروج من منطقة الأمان التي تحيط نفسك بها. فما يتمناه قلبك، لديه قدرة مذهلة على التحكم بالمنطق الذي يدور في رأسك. الحاجة لرؤية ليسندر مرة ثانية سيطرت عليها إلى درجة الهذيان، وسلبتها النوم معظم الليل. ملأت رأسها أفكار لا تتعلق إلاّ به، وكأنه الفكرة الوحيدة الموجودة في العالم كله. عليها الاعتراف أنها لا تستطيع البقاء بعيداً كما خططت. لن يساعدها الهدوء والمنطق والتفكير بعقلانية، في حين أن كل ما تشعر به هو الشوق والحاجة إليه في كل لحظة. افتتانها الكبير بهذا الرجل دفعها نحوه بشدة ولم يسمح لها بالبقاء بعيدة عنه. ها هي الآن تحدق بالأرض الخشبية البسيطة أمام باب منزله. إنه منزل جميل بحجارته البيضاء، وهو يشرف على المرفأ. ضغطت أنيتا على يديها الرطبتين ثم فتحتهما وقد تملكها الخوف والذعر. شعرت كأنها تعرضت لعاصفة من أمطار الصيف القوية. مسحتهما بجانبي فستانها الأخضر، المصنوع من قماش الكتان. صلّت ألاّ يكون ليسندر في المنزل، فهكذا ستتمكن من التهرب من التحدث إليه وهي في هذه

www.elromancia.com

الحالة. لكن ما إن راودتها تلك الفكرة، حتى أدركت أن الباب ذا اللون الأزرق السماوي فتح، وها هو ليسندر أمامها بشعره الذهبي، وعيناه الزرقاوان تخترقانها كأشعة اللايزر، وتحدقان بها بنفس الشوق والاضطراب واللهفة التي تسير في عروقها.

- صباح الخير، أنيتا. هل تناولت الفطور؟

سألها ذلك ببساطة، وكأنه توقع أن يراها أمام بابه هذا الصباح. وبفم جاف كصيف الهنود، أجابت شفتاها بصدمة: «لا».

ضمت يده يديها بطريقة متملكة كنظراته التي لا تقاوم، وبدا كأنه يجذبها إليه كالمغنطيس. ثم جذبها بلطف مدهش إلى البرودة المريحة داخل الغرفة وراء الباب.

- إذاً أنت لم تتناولي الفطور، وكذلك أنا. ما الذي سنفعله لنتخلص من جوعنا هذا الصباح، هاه؟

- ليسندر!

عيناها السوداوان كانتا تتوسلان إليه أن يفهمها. تابعت: «ما كان علي القدوم، لكنني...».

- افتقدتك كثيراً ليلة البارحة. وتخيلتك بكثير من الصور، أنيتا... شعرت بشوق كبير إليك، والآن بعد أن رأيتك هنا ازداد الشوق أكثر.

- ليسندر، أنا... فكرت بما قلته. و...

- لا أريد أي تفسير آخر أكثر من وجودك هنا. صليت كي تبدلي رأيك، ويبدو أن الله استجاب لصلاتي.

- ألا تعتقد أن علينا مناقشة الأمور أولاً؟

ارتجفت الكلمات على شفتيها، لكنها علمت أنها مجرد كلمات لا قيمة لها. فمحاولاتها للابتعاد عنه فاشلة كمنع جريان نهر مندفع.

لو أنها ما زالت أنيتا القديمة، لأقنعت نفسها بعدم القدوم إلى هنا إطلاقاً، لكنها فجأة تشعر كأنها فراشة جميلة تخرج من شرنقتها. هذا ما وصفها به ليسندر عندما التقيا لأول مرة. تمنت أنيتا حتى أعماق أعماقها أن تصبح مختلفة وأكثر شجاعة وقوة، كي تتمكن من التصدّي لخوفها من أن تصاب بالأذى.

لم يعتقد ليسندر للحظة أن النقاش ضروري، ليس وهو يشعر بكل هذا الإحساس المدهش. بدا أمراً جديداً بالنسبة له، أن يشعر بتلك الرغبة غير العادية بأن يكون رقيقاً ولطيفاً مع امرأة يحتاجها ويرى شوقه يزداد إليها مع مرور كل لحظة. هي جميلة جداً وتروق له، بعينيها البنيتين المليئتين بالثقة وبذلك الفم المرتجف. تنسكب البراءة من نظرتها لتمتزج مع الفضول واللهفة، لقد ظهر ذلك المزيج لليسندر وكأنه شبكة عنكبوت زينت بقطرات الندى الصباحية. بدت رقيقة جداً وساحرة الجمال، لدرجة تجعل المرء يتساءل كيف يمكن لجمال كهذا أن يكون موجوداً في هذا العالم القاسي العديم الرحمة.

قرر ألاّ يجيب عن سؤالها الذي تلفظت به. بدلاً من ذلك جرها إلى الداخل، تاركاً الصمت والهدوء يلفهما معاً. ضمها إليه بدون أي تحفظ... وعانقها.

ضاع ليسندر كلياً في ذلك العناق الناعم. لم تكن الرغبة وحدها ما تقوده ليضم أنيتا بمثل هذا التملك، بل شعر بوجود ارتباط روحي عميق بينهما. أخذ ذلك الشعور يضلله ويسيطر على أفكاره ويطلق سهاماً خفيفة من الصدمة في كيانه.

ابتعد عنها، هو ينظر بذعر. ما الذي يفكر فيه؟ الارتباط الوحيد بينه وبين هذه المرأة الجميلة التي بين ذراعيه هو مجرد ارتباط

www.elromancia.com

عادي، وعليه ألاّ يضع له صفات تجعله أكثر تعقيداً. عليه أيضاً ألاّ يخدع نفسه ويتخيل وجود أشياء لا أساس لها. اكتشف ليسندر بعد الأضرار التي أصابته في الماضي أن النساء لا يتعاملن بصدق. وجد أن بإمكانهن أن يكنّ مخادعات ومتقلبات، لذا فهو يشعر أنه لا يمكن الوثوق بهن.

فمريانا مثلاً، قامت بدور المرأة المغرمة بشكل رائع عندما التقيا للمرة الأولى، ما جعل ليسندر يقنع نفسه أنه هو أيضاً يحبها. وضع جانباً شكوكه بأنها اتفقت مع والده على إغوائه كي تتزوج منه، من أجل تحقيق أحلامهما الخاصة. ولسوء الحظ تحولت شكوكه إلى حقيقة. كان ليونيداس مقتنعاً أن وضع مريانا في طريق ليسندر هو في مصلحة ابنه بدون أي شك، فهي جميلة وتجيد عدداً من الفنون كالرقص والرسم، ولديها علاقات مع الطبقة الأرستقراطية. لا همّ إن كانت عائلتها لا تملك إلاّ القليل القليل من المال، فقرابتها مع الأسرة المالكة ستضيف ثقلاً إلى اسم عائلة روساكيس. في المقابل نظرت مريانا بدورها إلى الزواج من ليسندر كمصدر للثراء والمكانة الاجتماعية. شكل ارتباطهما الرسمي ستاراً دخانياً ملائماً يخفي طبيعتها المستهترة بملاحقة رجال آخرين.

لن يسمح ليسندر لمثل ذلك الكابوس أن يتكرر ثانية. لا يهم كم يفتقد بعمق لضم امرأة تبادله الحب بين ذراعيه، أو كم يشعر بالسأم من كونه أصبح وحيداً...

لم تشك أنيتا للحظة أن تينك الذراعين القويتين اللتين تلفانها بقوة، لديهما القدرة لإيصالها إلى حد الجنون. حاولت بقوة ألاّ تجعل إدراكها لقربهما الرائع يسيطر عليها. هل هذا ما كان ينقصها طوال كل تلك السنين من الوحدة؟ أهذا ما افتقدته وهي تجاهد

لتحقيق هدفها بأن تصبح أخصائية ناجحة في الشؤون الاقتصادية، وهو الهدف الذي عمل والداها على جعلها تطمح إليه؟ هل ضحت باحتمال الحصول على علاقة مليئة بالحب من أجل الربح المادي والأمان الذي يوفره لها؟ فكرت بأمها الطبيعية؛ لقد أحبت رجلاً وأنجبت منه طفلة قدّر لها ألاّ تبقى معها. كم من الفرح والحزن سببه لها ارتباطها بذلك الرجل. لا بد أنه جلب لها ألماً لا يمكن تخيله عندما كانت مجبرة على التخلي عن طفلتها. كاد قلب أنيتا ينفطر من تلك الفكرة. نظر ليسندر إليها وقد غابت من عينيها تلك النظرة المتلهفة، وحدق بها متسائلاً بصوت أجش: «لِمَ أنت متزعجة؟».

- ما من أمر مهم. بعض الأفكار تزعجني في بعض الأحيان.

لمست وجهه بأصابعها، وهي تشعر بالافتتان من جمال ملامحه القوية؛ وبسرعة بدأ الحزن الذي نشأ داخل صدرها يخفت تدريجياً.

حركت شفتيها بطريقة خجولة، وقالت: «إنني سعيدة جداً بقربك، وأنا لا أريد التحدث أكثر من ذلك، أريد فقط أن أبقى معك».

شعر ليسندر بالسعادة لسماعها تقول ذلك، فأنيتا تملك كل ما يتمنى رجلٌ أن يجده لدى المرأة. إنها جميلة فاتنة وذكية، ولديها حساسية جذابة تترك صدى قوياً في داخله.

- سأطرد أية فكرة تزعجك، أنيتا.

وعدها بذلك مشجعاً بسرعة وهو يتابع: «لنذهب إلى غرفة الجلوس، وسنتحدث هناك إلى أين سنذهب لنتناول الطعام. أو... لنذهب إلى الشرفة. أنا شخصياً أعرف أماكن رائعة في الجزيرة لم نزرها بعد».

www.elromancia.com

عانقها عناقاً صغيراً سريعاً وهذا ما جعلها تتنهد بشوق وسعادة.

- أنت إنسان شرير جداً، وأنا متأكدة أنك تعرف ذلك.

تمتمت بذلك وهما يسيران إلى الشرفة.

قال بصوت أجش: «أنت تدركين أن كلمة «شرير» تعني رائع، لذلك سآخذ اتهامك على أنه إطراء لي».

ضحك بصوتٍ عالٍ، وهو يبعد لها الكرسي لتجلس قبالته على الشرفة.

* * *

راودته فكرة واضحة بما عليه أن يفعله بشأن حفلة العشاء في أثينا. آه! عليه الذهاب حتماً، لأنه لن يخيب أمل أمه الغالية أبداً. لكن ليسندر يرغب باصطحاب ضيفة معه. أنيتا! لن يرضي ذلك حاجته النهمة بالتواجد معها فقط، بل سيظهر لوالده أيضاً، مرة وإلى الأبد أن ابنه لن يقبل مطلقاً التحكم به لإنشاء علاقة من اختياره مرة ثانية. وإذا تبين أن ليونيداس غضب وشعر بالإحراج لأن ليسندر أحضر ضيفة غير متوقعة إلى الأمسية الصغيرة التي رتبها مع صديقه وابنته، فهذه ستكون مشكلته. وسيكون السبب الوحيد لذلك هو بالتأكيد كبرياءه وتفاخره بنفسه.

ألا يزال يملك الجرأة للتحكم بحياة ابنه، حتى بعد الارتباط المدمر الذي سببه له مع مريانا؟

ما إن وصلا إلى مدخل الفندق الصغير التي تمكث فيه أنيتا، حتى عبقت رائحة الأزهار. امتلأ الهواء برائحة غنية بالرحيق وعبير أزهار الماغنوليا المنتشرة في الفناء الخارجي. ضمها ليسندر مرة ثانية بين ذراعيه. بدت عيناها مشرقتين ومشعتين، ومليئتين بالتوقعات. تسارع اندفاع الدم في عروق ليسندر، وأدرك أنه لا يريد

من أنيتا أن ترحل. لم يستطع تحمل الابتعاد عنها ولو لعدة ساعات قليلة لتكتب بطاقات بريدية لأهلها، وتغسل شعرها، كي تحضر نفسها لتلقاه مجدداً في وقت متأخر من بعد ظهر هذا اليوم.

- لم أخبرك بعد إلى أين سآخذك هذه الليلة!...

ابتسم، وتوقف عن السير لينزع ريشة بيضاء صغيرة من الواضح أنها علقت في خصل شعرها الأسود الكثيف. حدقت أنيتا بقوة في الريشة، وهزت رأسها بصمت متعجبة.

سألت بنعومة وقد تكورت شفتاها بطريقة حلوة وهي تضع يدها بخفة على ظهر ليسندر: «إلى أين ستأخذني الليلة؟».

- إلى منزل والديّ في أثينا فهما سيقيمان حفلة عشاء صغيرة وقد وعدتهما بأنني سأحضرها. اعتقدت أنها ستكون سهرة سارة جداً إذا أتيت معي.

لم تستطع أن تنكر الاحساس بالضيق والإحراج الذي سيطر عليها وأثر على توازنها حالما تكلم عن والديه. إنها في مكان مجهول هنا، وليس لديها أي وسيلة تساعدها على معرفة التصرف الصحيح. لا تريد أنيتا أن تعطي تلك الدعوة غير المتوقعة أهمية كبيرة، لكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تنكر قلقها بشأنها.

سألته، وقد تركت يديها تستريحان ببساطة على ظهره: «تريدنا أن نذهب إلى أثينا... الليلة؟».

- سيرسل لنا والدي قارباً.

- قارباً؟

- حسناً! يختاً.

رفع ليسندر كتفيه بلا مبالاة، وكأن ما قاله عادي جداً وغير مهم، وبالكاد يستحق تعليقاً.

تجهم وجه أنيتا، وأبعدت يديها نهائياً عن ليسندر، ثم قالت: «أنا لم أفهم... أيملك والدك يختاً؟».

- عدد كبير من أثرياء اليونان يملكون يخوتاً، أنيتا! سبق أن رأيتِ بعضها متوقفاً هنا في المرفأ. هذا أمر لا يدعو إلى الدهشة حقاً.

أخذت الدعوة إلى أثينا لتناول العشاء مع والديّ ليسندر منحى جديد مختلفاً كلياً ومثيراً للقلق. لم يكن لديها أية فكرة عن الجذور الاجتماعية التي أتى منها. لم تفهم أنيتا ذلك النوع من الثراء الذي يتضمن اقتناء يختٍ خاص، يرسله والداه ببساطة إلى هنا لإحضار ابنهما، وذلك من أجل أن يحضر حفلة عشاء فقط. ماذا ستكون ردة فعلهما عندما يجدا أن ابنهما الوسيم المؤهل لتولي مهام العائلة العظيمة قد أحضر معه فتاة إنكليزية غريبة، فتاة عادية أتت لتمضية عطلة في الجزيرة، وها هي تنضم إليهم أثناء العشاء؟ لا بد أنهما سيعتبرانها مجرد دخيلة!

- ليس لدي فكرة عن ثراء عائلتك ليسندر.

- وهل هذا أمر ضروري ومهم؟

بدت نظرته قلقة للحظة، قبل أن يتابع: «لم أناقش أمر عائلتي معك، هل يزعجك أنها عائلة ثرية؟».

أسقط ليسندر يديه إلى جانبيه أيضاً، وبدا مشغولاً بأفكاره التي لم يتحدث عنها.

- لم يزعجني ذلك كثيراً، لكن لأكون صادقة معك، فإن تلك المعلومة جعلتني أشعر بالقلق قليلاً. وأنا لا أفهم لماذا تطلب مني الذهاب ولقاؤهما. نحن لا نعرف بعضنا منذ زمن طويل، لذا فهو يبدو لي تصرفاً غير مناسب الآن.

حدق ليسندر بحدة في أنيتا. أعجب بها لأن لديها تحفظات بشأن لقائها بوالديه، لأنهما لا يعرفانها بعد. هذه ردة فعل مختلفة جداً عن ردة فعل معظم النساء اللواتي كان يعرفهن، ما أكد له أنها تهتم به لشخصه، وليس لأنه يملك ثروة طائلة. لكن مع ذلك بقي ساخطاً وغاضباً من ترددها. لقد دعاها لتذهب إلى العشاء مع عائلته، وبالنسبة إليه، هذا سبب كاف لتقبل.

- أنا لن آخذك معي إلى منزل والدي كزوجة للمستقبل، أنيتا. لقد تلقيت دعوة إلى العشاء، وببساطة، أطلب منك مرافقتي. الأمر فعلاً بهذه البساطة، وليس هناك من داع لجعله أكثر تعقيداً أو صعوبة.

فجأة أصبحت الدعوة إلى العشاء أمراً مزعجاً لأنيتا أكثر من السابق. إنها شديدة الحساسية... وبعد ما سمعته من ليسندر بدا لها كأنه يشعر بالاحراج والانزعاج من الشكوك التي عبرت عنها كأنه يعتقد أنها قرأت أبعاداً أكثر بكثير مما قصده بتلك الزيارة.

أكد لها حرفياً أنه لا يأخذها إلى المنزل كزوجة للمستقبل. شعرت أنيتا بجرح عميق في كل كلمة من تلك الكلمات المؤلمة، وكأنها اخترقت جسدها كالسكين. لم يمر ببالها ولو للحظة واحدة أنها من الممكن أن تصبح زوجته، كونها وجدت نفسها منغمسة بعواطف جارفة من الحب، فهذا لا يعني أنها تريد أن تسير مباشرة إلى الزواج. كيف يجرؤ ليسندر بكل وقاحة على الافتراض أن هذا ما فكرت به؟!

- أنا لا أحاول تعقيد الأمور، ليسندر. أؤكد لك ذلك. لقد فكرت بالأمر، وأعتقد أنني لن أقبل الدعوة، إن كنت لا تمانع. لقد أمضينا كثيراً من الوقت معاً، والآن أريد أن أستفيد من الوقت الذي

www.elromancia.com

سأمضيه بمفردي. اذهب أنت واستمتع بعشائك، وربما أراك ثانية بعد يومين أو أكثر؟

لم يستطع أن يصدق البرودة والجدية التي كلمته بهما. شعر ليسندر بعضلة تهتز في جانب خده.

- أريدك أن تذهبي معي إلى أثينا! لو أنني قررت اصطحابك الليلة إلى مطعم ما في الجزيرة، لرضيت بمرافقتي. أليس كذلك؟

- نعم، لكن...!

- إذاً، ما من داعٍ لتغيير مخططاتنا. سنتناول العشاء معاً، لكن المكان فقط هو الذي سيتغير. أنا حقاً أريدك أن ترافقيني الليلة، أنيتا. وإن بدت طريقتي في الكلام قاسية من قبل، فأنا أعتذر. أعدك أنني سأعوض عن هذه التصرفات.

رغم اعتذاره، بدا كأنه أكثر انزعاجاً، وغير قادر على استرضائها. غير أن أنيتا شعرت باضطراب في قلبها بسبب ابتسامته الرائعة التي حامت على شفتيه المصقولتين. هي أيضاً تريد أن تكون معه الليلة. لا يهمها أين سيجتمعان. قد يكون العشاء ناجحاً، أو ربما يتحول إلى كارثة، لكن في نهاية الأمر لا يهمها رؤية والديّ ليسندر بل رؤية ولدهما. وهو الآن ينظر إليها بشوق واضح يشع من عينيه الزرقاوين، كأنه يقودها لتتصرف بجنون وبدون وعي منها.

٧ - المليونير المخادع

حالما بدأت أنيتا تتخلص من الدهشة التي شعرت بها لرؤية حجم يخت والد ليسندر وجماله، ذلك اليخت الذي نقلهما من المرفأ إلى أقرب نقطة في مرفأ أثينا، حتى تلقت صدمة ثانية من رؤية سيارة الليموزين والسائق الأنيق الذي أتى ليوصلهما إلى المنزل في المدينة.

حاولت أن تدفن خوفها في أعماقها ما إن وصلا إلى غرفة الجلوس الرسمية الرائعة الجمال في منزل والديه الذي يقع في ضاحية للأثرياء في أثينا. راقبت أنيتا بدهشة الغرفة التي زينت بلوحات أصلية علقت على الجدران وكذلك مفروشاتها الفاخرة التي بدا بوضوح أنها ممتلكات حصرية لشخص أو جماعة، وأنه قد تم شراؤها على يد موظف متملق. بالكاد تمكنت أنيتا أن تنظر إلى ليسندر، بسبب توترها وخوفها.

كادت تجزم بأن هذه الجذور الاجتماعية مختلفة تماماً عن الجذور التي انتمت إليها أمها المسكينة وترعرعت فيها. لا شك أن عائلة ليسندر قد ساعدته بشكل كبير ليطور عمله كمصور، فهو لا يحتاج للعمل بجهد ليتمكن من تأمين حياة لائقة له.

أبعدت عن رأسها الفكرة القاسية، وشعرت بالذنب وهي تتذكر المساعدة المادية التي قدمها لها والداها لتؤسس عملاً خاصاً بها، لذا ليس من الغريب أن تقدم أي عائلة المساعدة لولدها. لكنها لم

www.elromancia.com

تستطع التخلص من فكرة أخذت تلاحقها: إن السماء تمطر على ليسندر مالاً، فهذا ليس مجرد ثراء عادي مقبول بل نوع من الثراء الفاحش الذي يجعل معظم الناس يتساءلون عن مصدره. لم تعرف أنيتا تماماً كيف ستتعامل مع الأمر في هذه اللحظات. بدأ الأمر مختلفاً حين تمتعا بحرية لقائهما معاً على انفراد على الجزيرة، لكن علاقتها به بدأت تأخذ منحىً معقداً جداً الآن، بعد أن عرفت الجذور الاجتماعية التي ولد ونشأ فيها.

نظر ليسندر للمحة واحدة نحو الجميلة النحيلة صاحبة الشعر الأسود التي وقفت بجانبه وهي ترتدي فستان سهرة من الحرير الأسود بدون شرائط على الكتف. بدت كتفاها الناعمتان سمراوين، وقد غطاهما شال ناعم مكشكش باللون الأزرق الداكن. لم يستطع ليسندر أن ينكر الإحساس بالفخر والسعادة اللذين تفاعلا في داخله لوجودها برفقته.

يعلم أنه لو تسنى لأمه غالاتي أن تتعرف على أنيتا، فهي لن تتمكن إلاّ من أن تحبها. أعطته تلك الفكرة لحظة من السعادة الصافية، قبل أن يدخل والده إلى الغرفة مرتدياً بذلة للعشاء، ساحقاً بقدميه واحة السلام الصغيرة بكل قوة، وكأنه قائد كتيبة. جالت عيناه السوداوان على ليسندر وأنيتا الأنيقين الواقفين وسط فخامة غرفة الجلوس، وحدّق بهما بنظرات ثاقبة. علم ليسندر أن الطريقة التي سيتواجهان بها الآن ستشكل بلا شك الطابع العام الذي سيستمر حتى آخر الأمسية. رفع كتفيه بتعمد مظهراً جواً من التحدي، داعياً العجوز المخادع ليقدم أسوأ ما لديه! هو لن يسمح بإزعاج أنيتا، كما أنه لن يسمح له بجره إلى مواجهة حقيقية الآن. إذا عمد الرجل العجوز إلى التصرف بقسوة، سيقوم بكل بساطة بإمساك أنيتا من يدها

ليغادرا. سيقوم بحجز غرفة لهما في فندق جميل، ثم سيسافران عند الصباح ليعودا إلى الجزيرة.

أحنى رأسه قليلاً كأنه يسلم على ليونيداس.

- مرحباً! والدي.

- أحضرت معك ضيفة، كما أرى، ليسندر. لِمَ لم تخبر أمك بذلك؟

أدركت أنيتا على الفور أن هناك خطباً ما، مع أن الرجل العجوز كان يتحدث باليونانية. هو بالتأكيد لا يرحب بوجودها هنا، إذاً لماذا أصر ليسندر عليها لترافقه؟! وقف الآن بجانبها، ورفع كتفاً عريضة بعدم مبالاة، لكن خلف ذلك المظهر الهادئ شعرت بغضبه الشديد ما أثار دهشتها. ابتلعت غصة بصعوبة، وتمنت لو أنها أصرت على قرارها بألاّ تأتي معه إلى هذا الموعد الخاص.

- يمكنك التحدث باللغة الإنكليزية، أبي، فصديقتي لا تتقن اللغة اليونانية. أتقول إنك لا تستطيع استقبالنا معاً؟

وتابع بنبرة حازمة: «إذا كان الأمر هكذا، فمن الطبيعي أن نغادر».

أمسك بيدها بقوة، ولم يتركها. نظرت أنيتا إليه باهتمام وحذر. من الواضح أن الرجلين لا يتمتعان بعلاقة طيبة، نظراً لما يظهره هذا الحديث القصير بينهما. وتساءلت عن سبب هذه العداوة.

- ليسندر، ولدي العزيز!

على الفور، وبندم شديد، سار الرجل العجوز عبر الغرفة وأمسك ليسندر من كتفه مطمئناً، ووضع على وجهه ابتسامة كبيرة مثيرة للدهشة وهو ينظر إلى أنيتا، ثم تابع: «ما هذا الكلام السخيف الذي تقوله؟ أيعقل ألاّ نستقبل ضيفة جميلة لابننا؟ ما قصدته بكلامي هو

www.elromancia.com

أن أمك لا تعلم بضرورة ترتيب مكان آخر على طاولة العشاء. على كل حال يمكن إنجاز ذلك بأقل من لحظة، لذلك لا تهتم للأمر. ربما عليك أن تشرفني بتعريفي على ضيفتك ليسندر».

ابتعد قليلاً عن والده، تاركاً يد أنيتا. بدا جدّياً جداً وهو ينظر أولاً إلى ليونيداس، ثم إلى رفيقته. قال: «هذه أنيتا. أمضينا بعض الوقت معاً في الجزيرة. أنيتا، هذا والدي، ليونيداس روساكيس».

تجهم وجه ليونيداس، وقال متسائلاً: «أنيتا؟ هذا اسم يوناني! ومع ذلك يبدو بوضوح أنك لست يونانية؟».

- لا، أنا من إنكلترا، وبالتحديد من لندن.

شعرت أنيتا من جديد بالاحراج لأنها تتجنب التحدث عن أصلها الحقيقي. كل مرة تنكر فيها أصلها، وتتكلم كأنها لا علم لها بالموضوع، تشعر بطريقة ما أنها تخون أمها الحقيقية. تخون الألم والخوف اللذين عاشتهما أمها عندما أجبرت على التخلي عن طفلتها. ابتسمت بتوتر طفيف ما إن أمسك ليونيداس يدها بحزم. تمعنت نظراته باحمرار خديها، فابتسم قليلاً مشجعاً لكي يقدم لها بعض الراحة وقال: «حسناً! تأكدي أنه مرحب بك جداً في منزلي، أنيتا. والآن يجب أن تدخلا لتقابلا ضيفيّ الآخرين».

ما إن دخلوا غرفة الطعام الرائعة حتى رأت أنيتا ثلاثة أشخاص يقفون هناك. رأت امرأة جذابة في منتصف العمر مرتدية فستاناً ضيقاً عاجي اللون يظهر قامتها الجميلة، ورجلاً بديناً في نفس سنها تقريباً، يحمل بيده كوباً من العصير، ووقفت بجانبهما شابة فاتنة شقراء ترتدي فستاناً جريئاً بدون ظهر من اللون الأخضر الزمردي. وقف الثلاثة أمام لوحة زيتية كبيرة يتأملون المنظر المؤثر لسفينة في وسط البحر.

استداروا جميعاً بسبب صوت ليونيداس الجهوري، وهم يبتسمون، حتى استقرت عيونهم على أنيتا. وجدت نفسها تتساءل مجدداً لماذا أحضرها ليسندر إلى منزل عائلته في حين أن حضورها غير المتوقع هو وبكل وضوح، غير مرحب به على الإطلاق.

أول من تغلبت على دهشتها هي المرأة التي افترضت أنيتا على الفور أنها والدة ليسندر، إذ سارعت لملاقاتهما وعانقت ابنها. لم يتصلب ليسندر هذه المرة، كما فعل عندما سقطت يد والده على كتفه، بل على العكس تماماً، فقد ارتاحت يداه بسهولة حول خصر أمه وقبلها بحرارة على خديها.

قال لها بعاطفة، وهو يبتعد ليظهر إعجابه: «تبدين جميلة كالعادة، أمي».

- غالاتيا، أحضر ليسندر معه صديقته واسمها أنيتا. لكنها ليست يونانية، كما أخبرني!

قال ليونيداس ذلك بصوت عالٍ، بعد ذلك ضحك وكأنه يستمتع بالنكتة العظيمة التي قالها.

شعرت أنيتا بالتوتر وخيبة الأمل السائدين تحت تلك الضحكة المرحة التي من المفترض أن تكون باعثاً للراحة في الغرفة. إذا كان حضورها سيثير المشاكل بين ليسندر وعائلته، إذن فهي تفضل المغادرة الآن على أن تجلس معهم إلى العشاء، وتتحمل ذلك العذاب المهين.

ضغطت على حقيبتها المصنوعة من الساتان الأسود بقوة بين يديها بينما أخذت نظراتها تتنقل بين الضيفين الباقيين. رمقتها المرأة الشابة الجميلة بنظرة واضحة من الانزعاج. بدا ثوبها الأخضر الزمردي ملفتاً للنظر وملتصقاً بجسدها النحيل كما تلتصق حبة الندى

ببتلات الزهرة. استدارت بعدها تلك الشابة، ووضعت كل اهتمامها بليسندر. بدا واضحاً جداً من الذي يثير انتباهها ومن الذي ستعمل على المحافظة عليه، ولم تستطع أنيتا أن تسيطر على الإحساس القوي بالغثيان الذي أصابها من شعورها القوي بالغيرة، ذلك الشعور الذي أربك معدتها على الفور. تساءلت فجأة هل هذا هو سبب انزعاجهم كثيراً لوجودها بينهم؟ هل كانت هذه الفاتنة ذات الثوب الزمردي الأخضر بانتظار أن تتعرف على ليسندر؟

- أهلاً وسهلاً، أنيتا.

ضغطت والدة ليسندر الجذابة بيدها على يد أنيتا، بينما أمسكت أنيتا بحقيبتها بقبضة كالحديد، وابتسمت لها. شعرت أنيتا أن بعضاً من توترها قد تبدد، إذ لم تجد في تلك اللمسة اللطيفة الخالية من كل رياء أو تكلف أي إحساس بخيبة الأمل أو بالندم.

- اعذرينا لأننا لم نكن جاهزين لاستقبالك، لكننا لم نملك أية فكرة أن ليسندر سيحضر معه صديقة. بكل الأحوال، أريدك أن تعلمي أنه مرحب بك جداً في منزلي. من فضلك، اقتربي وقابلي ضيفينا الآخرين، طاكس كومانيديس وابنته الرائعة إلكترا... كانا ينتظران بشوق مقابلة ليسندر.

تقدم طاكس إلى الأمام وأمسك بحرارة بيد ليسندر، ثم تراجع إلى الخلف ليسمح لابنته أن تفعل مثله. لم تستطع إلكترا أن تنزع عينيها عنه، وبتعمد أمسكت بكم بذلته الرائعة الخالية من أي نقص، وتركت يدها ترتاح على ذراعه بتملك ودلال. شعرت أنيتا بتوتر ينمو داخل جسمها من جديد بسبب خطوة المرأة المفترسة الضارية.

لم يبدُ على ليسندر التأثر أو الافتتان بتلك المرأة. وما إن تم التعارف، حتى استدار نحو أنيتا ووضع يده على ظهرها. انتشر عبر

عمودها الفقري إحساس بوخز خفيف مستمر، بينما استعادت اللقاء العاطفي الذي عاشاه منذ عدة ساعات ماضية. اشتاقت للعودة إلى الجزيرة، لتجلس معه في ذلك البيت الأبيض البسيط الصغير المحاذي للمحيط، الذي تفضله أكثر من هذا القصر الكبير.

* * *

صمم ليسندر ألاّ يمضي وقتاً طويلاً في القصر بعد انتهاء العشاء. تحرك الجميع ليجلسوا إلى الطاولة الطويلة الموضوعة بجمال وعناية. استدعي خادم ليضيف مكاناً لأنيتا. بسرعة ومهارة وضع لها كرسياً بالقرب من كرسي ليسندر. عندها أجبرت إلكترا على مضض على أن تأخذ المكان المواجه لهما. وضع ليسندر يده على ثوب أنيتا الحريري، وشعر أن الحرارة بينهما تكاد تكون حارقة. أظلمت عيناه الزرقاوان بنهم ضارٍ وهو يستدير ليتأمل ردّة فعلها التي ظهرت بتورد خديها الجميلين بسبب لمسته.

أراد أن يهمس في أذنها أنه يتشوق للعودة معها إلى الجزيرة ثانية، وأنه سيشعر بالأسى إن لم يستطع التخلص من السهرة بسرعة، لكن عليه أن يسيطر على العاصفة الكبيرة من الشوق التي تجتاح جسده مثل رياح شرقية حارة مزعجة.

جلس طاكس كومانيديس قرب ابنته ورفع كوبه إلى شفتيه، ثم أخذ يتفحص أنيتا بتمعّن، وقال: «إذاً أنيتا، أخبرينا من فضلك، من أين أنت؟ وما الذي دعاك للقدوم إلى اليونان؟».

تفاجأت من السؤال غير المتوقع والشخصي. عضت أنيتا شفتها بعصبية قبل أن تجيب: «أنا من لندن، وأعيش هناك، أتيت إلى اليونان لأمضي العطلة هنا، وهذه هي زيارتي الأولى لبلدكم. أردت دائماً القدوم إلى اليونان فهو بلد جميل».

سأل طاكس وهو يقطع الخبز في صحنه رغم عدم رغبته بأكله: «وما الذي تفعلينه كوسيلة للعيش في لندن؟».

- ما الذي أفعله كي أعيش؟ حسناً! أنا...

نظرت بطريقة غير مباشرة إلى ليسندر، الذي لم يخفِ اهتمامه الشخصي بإجابتها، فتابعت: «كنت أملك متجراً خاصاً بي، لكنني عرضته للبيع منذ فترة وجيزة».

رفع طاكس حاجبيه الأسودين الكثيفين معاً بفضول حادٍّ، وقال: «لماذا؟ ألم يكن العمل يسير بطريقة جيدة؟».

تنهدت أنيتا ونشرت منديل الحرير الأبيض بعناية على حضنها، وأجابت: «في الحقيقة، كان العمل يسير بأحسن حال، لكنني لم أعد أجد الاهتمام الكافي والحماس السابق الذي اعتدت عليه من قبل، فقررت أن أسير في اتجاه جديد في حياتي».

تمنت أن يكتفي بتفسيرها، فهي لا تزال ضعيفة جداً للتكلم بشأن بولي، وبشأن المعلومات العائلية الشخصية التي اكتشفتها. إنها غير قادرة على التحدث بشؤونها الخاصة حتى مع المقربين منها، فكيف ستتمكن من التكلم مع الغرباء؟ لكن طاكس أصر على متابعة الحوار: «وما الذي ترغبين بالقيام به، بعد أن تخليت عن عملك الآن؟».

شعرت بالانزعاج من السؤال. بدا واضحاً أن الاهتمام بها سيبقى مسيطراً طيلة السهرة. مدّت أنيتا يدها إلى كوبها البارد ورشفت رشفة. بعد نظرة جانبية أخرى نحو ليسندر، أجبرت نفسها على إيجاد جواب ما، فقالت: «فكرت في أن أسافر قليلاً. فأنا لم أسافر من قبل، وأحب فعلاً أن أرى المزيد من بلاد العالم».

شعرت على الفور بفقدان اهتمام سامعيها ما إن أفضت بفقدانها

الواضح للطموح. من الواضح أنهم لا يفهمون ذلك مطلقاً، ومن الواضح أيضاً أنهم استخفوا بها. شعروا أنها انهزامية كونها باعت متجرها وتخلت عن عملها. تساءلت بماذا يفكر ليسندر بعد اعترافها التلقائي بالأهداف البسيطة لمستقبلها! هل يعتقد أنها كسولة لأخذها هذا الخيار بدلاً من السعي إلى إيجاد عمل آخر مربح؟ جعلها ذلك تتساءل لما يحكم الناس دائماً على بعضهم من خلال ما يفعلونه للعيش بدلاً من رؤية أي نوع من الناس هم. ألا يكفي أن يكون الإنسان شريفاً ونزيهاً؟ في رأي أنيتا، هذا أمر كافٍ للتعريف بنجاح الإنسان مثل أي شيء آخر. لكن من الواضح، من خلال الثراء المادي الذي يتمتع به هؤلاء الأشخاص، أنهم يفكرون بطريقة مختلفة تماماً.

أشار طاكس بحاجبيه الكثيفين نحو ليسندر الجالس بقرب أنيتا، وكأنه تذكر أخيراً أنه في الواقع أتى إلى هنا لرؤيته. قال له: «وأنت ليسندر، إلى متى ستبقى في عطلتك؟ سمعت من ليونيداس أنك تنشغل دائماً بالتصوير حين تبتعد عن أثينا، لكن الأعمال مهمة أيضاً. أليس كذلك؟ متى ستعود ثانية إلى العمل؟ لدي عرض مهم جداً لك وسأعرضه عليك ما إن تعود إلى عملك».

ما إن أنهى والدها كلامه، حتى بدا على إلكترا الاعتزاز بنفسها. حدقت بليسندر بنظرات ذات مغزى، كأنها تتحداه بجمالها، واثقة برغبته بالتودد إليها. أدركت أنيتا أن إلكترا لم تعد مهتمة بالأشخاص الموجودين معها حول الطاولة، وصبت كل اهتمامها على ليسندر. عبثت بمنديلها، وتمنت لو أنها موجودة في أي مكان آخر من العالم إلاّ هنا. تمنت لو أنها ليست في هذه الغرفة الرائعة والمرعبة معاً، تجلس مع أناس لا يجمعها بهم أي أمر مشترك.

فجأة، تذكرت تعليق طاكس وأخذت الكلمات تتوضح أمامها. ما الذي قصده بقوله «الأعمال مهمة أيضاً؟» و«متى ستعود ثانية إلى العمل؟» ألمْ يخبرها ليسندر عندما التقيا لأول مرة أنه يعمل كمصور لكسب عيشه؟ بدت عيناها السوداوان حائرتين ومتسائلتين وهي تستدير لتنظر إليه بتمعن، لكن لدهشتها رأت الجهة الجانبية من وجهه الآسر مغطاة في تلك اللحظة بقناع لا يخترق، كأنه يخفي بجدارة ما يفكر فيه ليحجبه عن عيون المتطفلين وتحديقهم.

بدأت أنيتا تشعر بالانزعاج...

- سأعود إلى العمل عندما أصبح جاهزاً، وليس قبل ذلك. إنني آسف لأن على عرضك أن ينتظر. أمّا في الوقت الحالي، أخشى القول إن لعطلتي الآن الأولوية على أي شيء آخر. أنا أستحقها، فلماذا لا أتمتع بها؟

علّقت غالاتيا مساندة ابنها، فقالت: «بالطبع هو يستحقها! ما هي أهمية موقعك كرئيس للشركة إن لم تستطع الاعتماد على مساعديك عندما تحتاج إلى فرصة؟ ربما سيطرت شركة روساكيس للنقل البحري على حياة زوجي، لكن ليسندر ما زال شاباً، ومن الطبيعي جداً أن يبدي اهتماماً لمهن أخرى تماماً كاهتمامه بعمل العائلة! متى سينظم كريستوفي معرضاً لك، عزيزي؟ أريد أن أصطحب كل صديقاتي إليه».

إذاً... ليسندر هو من يرأس أعمال العائلة! هو رئيس شركة روساكيس للنقل البحري.

لا عجب أن لوالده يختاً خاصاً بحجم قصر صغير. من المحتمل أنه يملك العديد منها أيضاً! وبما أن ليسندر هو رئيس شركة شهيرة كهذه فهو بالتأكيد ثري جداً، وربما مليونيراً أيضاً!

نظرت أنيتا إلى رفيقها الوسيم وهي تشعر بصدمة كبيرة تجتاحها. لم تتوقف الصدمات التي تتلقاها منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى هذه الغرفة المدهشة الفاخرة، وجلست إلى الطاولة الأنيقة الجميلة مع هؤلاء الأثرياء الذين يرتدون ملابس فاخرة رائعة. لم تصدق أنيتا أنها ستتمكن من تذوق أي نوع من الطعام. والآن بعد أن سمعت هذه المعلومات عن ليسندر، الرجل الذي وقعت في غرامه، فهي على الأغلب ستختنق إن حاولت أن تضع طعاماً في فمها.

لماذا أخفى شخصيته الحقيقية وأبقاها سراً عنها؟ ألا تستحق أن تعرف الحقيقة؟ هل يعتقد أنها من نوع النساء الباحثات عن الذهب؟

قال ليونيداس: «لنستمتع بهذه المقبلات قبل تناول العشاء».

جلس على رأس الطاولة، ورفع كوبه عالياً ثم شرب منه قبل أن يتابع: «هناك ما يكفي من الوقت لاحقاً لنتحدث بشؤون العمل إذا كنا نرغب بذلك، أمّا الآن فلنترك العمل جانباً بوجود سيدات جميلات جداً معنا! نحن محظوظون جداً، بدون شك لأننا نحظى برفقتهن. أليس كذلك؟».

* * *

ما إن نزلا من يخت والده في تلك الليلة المنعشة في الجزيرة، حتى نظر ليسندر إلى المرأة الشابة الصامتة بجانبه وشعر بانقباض في داخله من شدة اهتمامه لأمرها. بالكاد تحدثت أنيتا كلمة واحدة معه طوال طريق العودة... عليه أن يعلم السبب لتصرفها البارد المفاجئ نحوه. لم تكن تلك السهرة ممتعة أو حتى ناجحة، ففي معظم الأوقات بدا الجو محبطاً بشكل لا يحتمل. ولولا غلاوة غالاتيا لديه وتوسلها له لأن يحضر من أجلها ومن أجل والده أيضاً، لما شعر ليسندر بالندم على رفضه للدعوة. لكن الآن، وهو ينظر إلى وجه

أنيتا الشاحب القلق، تمنى فعلاً لو أنه رفض تلك الدعوة. قام ليونيداس بكل ما يستطيعه ليدفع «آكلة لحوم البشر» إلكترا كومانيدس للتقرب منه طوال السهرة. حتى إنه دفع أنيتا نحو طاكس عدة مرات، ليجعلها تتحدث معه بدلاً من ليسندر. لم يستطع أن ينكر شعوره بغيرة قاسية بشأن اهتمام الرجل الآخر بكل وضوح بأنيتا. العجوز المتصابي قام باحتكارها وكأنه لم يستطع الاكتفاء من رفقتها. ما الذي يفكر فيه والده الآن، بحق السماء؟ رأى أنيتا ترتجف فجأة تحت ذلك الشال الرقيق الذي يلف كتفيها. وجعله ذلك يصحو من أحلام اليقظة المؤلمة التي يعيش فيها وقال: «أنت تشعرين بالبرد. هيا! دعيني أعطيك سترتي».

لكن ما إن بدأ ينزع سترته الجميلة حتى هزت أنيتا رأسها بحزم معترضة. قالت: «لا! لا تفعل ذلك. أنا بخير، حقاً».

بدآ بالسير مبتعدين عن المرفأ، وعن تلك الأضواء المتحركة المشعة من خلال اليخوت الفاخرة التي ترسو هناك. أراد ليسندر ببساطة أن يعرف لماذا تعمل أنيتا فجأة وبتعمد على إبعاد نفسها عنه. ما إن استدارت نحو الطريق المؤدية إلى فندقها حتى ثبت أصابعه بملكية حول ذراعها، وقال: «لا، ليس من هنا».

هو لا يريدها أن تعود ثانية إلى الفندق الليلة.

بدت النبرة الآمرة في صوته واضحة تماماً مثل قبضته على يدها. لم تعد أنيتا قادرة على السيطرة على غضبها الذي أخذ ينمو في داخلها طوال المساء.

- لِمَ لا؟ فهذا هو مكان الفندق الذي أنزل فيه!

تنفست بصعوبة، ثم خلصت ذراعها من قبضته، وتراجعت مبتعدة عنه. عكست عينا ليسندر الزرقاوان بقلق دهشته وصدمته.

- حسناً! هل ستخبرينني ما هو سبب غضبك مني الليلة؟ إن كان هناك من يملك الحق بأن يكون غاضباً، فهو أنا! أمضيتِ معظم السهرة وأنت تغازلين الرجل البغيض القصير طاكس كومانيديس!

كادت ركبتا أنيتا تنهاران تحتها من الدهشة. قالت: «لم أغازل ذلك الرجل للحظة واحدة! هل أنت مجنون؟ أنت من أمضى نصف الليلة يحدّق إلى ثوب إلكترا الفاضح! إن كان هناك من يحق له أن يكون غاضباً فهو أنا! لكن ليس هذا هو السبب، ليسندر».

غصت، ولمعت عيناها بيأس وهي تحاول أن تخفي دموعها، وتابعت: «إن الأمر أسوأ بكثير. لقد كذبت عليّ»!

www.elromancia.com

٨ - حقيقة وذكريات!

- كذبت عليك؟

تمكنت أنيتا أن ترى بوضوح أنه لم يفهمها، وهذا ما زاد من دهشتها. هل علاقته بها سطحية إلى حدّ أنه لا يتذكر ما أخبرها به عن عمله كمصور ليتمكن من العيش، ونسي أن يخبرها أنه رئيس شركة يقدر رأسمالها بملايين الدولارات بدون أي شك؟

ربما هذا هو النداء الذي تحتاجه لتصحو، وتعود إلى رشدها. عليها أن ترى أن ليسندر ببساطة يلعب بها ويستغلها، كي يمضي بعض الوقت الممتع أثناء عطلته. ستكون ساذجة لمجرد التفكير أن علاقتهما أكثر من مجرد علاقة عابرة في عطلة. انحدرت دمعة ببطء على خدها، مسحتها بسرعة وبفقدان صبر. غضبت من نفسها لإظهار عواطفها أمام رجل لا يستحق أي حزن عليه.

- قلت لي إنك مصور، وجعلتني أعتقد أن هذا هو عملك الذي تعيش منه. لم تصحح لي مرة واحدة ذلك الافتراض. لقد كذبت عليّ، ليسندر! أتتوقع مني حقاً أن أصدق أنك بطريقة ما نسيت أن تخبرني من تكون بالفعل؟ أنت رئيس شركة ضخمة للنقل البحري... عائلتك غنية جداً لدرجة أنها تستطيع إرسال يخت فخم جداً لتأخذك إلى أثينا فقط من أجل حفلة عشاء، وأنت مع ذلك لم تذكر الأمر مطلقاً أمامي!

بدا وجهه الوسيم كئيباً لكنه لم يهتم كثيراً بانفجارها الغاضب،

بل قال: «ربما لم أخبرك بالحقيقة بأكملها عمّا أفعله أنيتا، لكنك لست بحاجة لتعرفي ذلك. هل هذا بالأمر المهم؟ ففي النهاية، أنت لم تسأليني مرة لأتكلم عن نفسي. وفي كل الأحوال، ما الذي يشغل بالك هكذا؟ هل تريدين أن أصدق بأن ثرائي يشكل مشكلة بالنسبة إليك؟ في هذه الحالة ستكونين امرأة نادرة بين النساء».

رفع كتفيه بلا مبالاة وابتسم، ورغبت أنيتا بكل ما لديها من قوة أن تمسح ذلك البرهان الواضح عن عجرفته وعلى الفور عن وجهه المليء بالثقة.

- لدى عدد كبير من الناس مبادئ لا يتخلون عنها.

رفعت نظراتها المعذبة إليه، وضمت شالها الرقيق إلى صدرها. تمنت لو أنها تتخلص من الإحساس بالخيانة وخيبة الأمل. تمنت لو تستطيع إقناع نفسها من جديد بأنها وجدت فعلاً شيئاً مميزاً جداً في هذا الرجل. لكن من الواضح جداً أنه يفكر بطريقة مختلفة تماماً بشأن علاقتهما الغرامية.

قالت له بمرارة: «ليست كل النساء متأثرات بالثراء والمال. لقد انجذبت إليك ليسندر، وليس لحسابك المصرفي، لذلك لم يكن هناك من حاجة لتخفيه عني. البعض يعتبر عدم خداع الناس أمر أكثر أهمية من وجود المال. ألا تظن ذلك؟ وإذا اعتقدت أنني سأرغب في البقاء معك لأجل المال، فهذه إهانة لي. وكأنني أستغلك لأجل مالك! لا بد أنك تعيش في وحدة قاتلة، إن كانت تجاربك مع النساء تعتمد على افتتانهن بأموالك».

أثرت كلماتها فيه وكأنها سكبت خلاً على جرحه. ذكرته بزواجه المليء بالعذاب مع مريانا. وبدون أي شك، ذكرته بوحدته التي كان يحياها طوال الوقت حتى وفاتها المفاجئة، لأنها بالطبع كانت

تستغله. تعاملت مريانا معه كأنه جائزة كبرى، وهو وقع بين براثنها كالأحمق بسبب إعلانها أنها تحبه، ما جعله يعمى عن الحقيقة.

الآن، هو يعلم أنه من الأفضل للمرء أن يكون بمفرده على أن يتورط بعلاقة تقتطع يوماً بعد يوم أجزاء من روحه. أمله بالحصول على طفل هو الأمر الوحيد الذي دفعه ليحاول جعل ذلك الزواج الكاذب والخالي من الحب يستمر. لكن في نهاية الأمر، حتى ذلك الأمل خطف منه بكل قساوة.

- إنني مصور، أنيتا. وأنا لم أكذب عليك بهذا الأمر. لقد رأيت صوراً لي في المعرض. وإذا كنت أدير أعمال عائلتي فهذا لا يعني أنني لا أستطيع ملاحقة أمور أخرى أحبها في حياتي، والتصوير هو حب حياتي. نحن لم نتحدث كثيراً عن نفسينا، أليس كذلك؟ في الحقيقة، ربما أخفى كلانا أسراراً عن الآخر، أليس كذلك؟

اعترضت أنيتا قائلة: «أنا لم أخفِ أي سر عنك! ليست لدي أسرار مهمة، تتعلق بشخصيتي!».

لكن حتى وهي تتلفظ بالكلمات، علمت أنها ليست الحقيقة بعينها. فكرت بالسبب الحقيقي الذي دعاها للهرب إلى اليونان، إلى هذه الجزيرة، وبالسؤال الذي لم تذكره، لأي شخص... صمتت أنيتا وهي تشعر بلسعة مؤلمة من دقة كلمات ليسندر.

لكن سر ولادتها ليس وثيق الصلة بالموضوع، وهو أمر لا يقارن مع كتمان أمر غناه! لم تستطع أنيتا التخلص من غضبها وألمها بسبب شخص أصبحت فعلاً تهتم به، وهو كذب عليها بتعمد. بدأت تعتقد أنه لا بد من وجود شارة سرية مزخرفة بألوان زاهية على جبهتها كتب عليها: لا تخبروا هذه المرأة الحقيقة، فهي ليست قوية كفاية

لتتمكن من تحملها.

تنهدت بقوة وهي تسير في الليل، مع نسماته الغريبة المحملة بحرارة المحيط ورطوبته. إنه جو مختلف تماماً عن الحياة التي كانت تعيشها في بلادها. فجأة شعرت بألم حقيقي بعذب روحها... أرادت أن تعود ثانية إلى إنكلترا، لتكون بين الناس الذين تعلم أنهم يحبونها حقاً...

تذكرت الملاحظة المؤلمة الحزينة التي تركتها في المنزل، والتي ضمنتها غضبها لأن والديها كذبا عليها بشأن أصلها الحقيقي. تذكرت خيبة أمل والدتها حين قالت لها: «سنحبك دائماً، أنيتا. لا فرق لدينا إلى أين تذهبين»!

تلك الكلمات تبعتها بينما كانت تصفق الباب بقوة، وتخرج من منزلهما غاضبة. فجأة، شعرت أنها شديدة الاضطراب، وأنها بالكاد تستطيع تحمل عذابها وألمها.

قالت بهدوء: «أريد أن أعود إلى الفندق الآن».

تعمدت أن تتجنب النظر إلى ليسندر وهي تتابع: «كانت أمسية طويلة، وأنا متعبة جداً».

- إذا كان هذا ما تريدينه، فسأسير معك إلى هناك. يمكننا أن نلتقي غداً و...

- لا! أحتاج إلى بعض الوقت، ليسندر. لا أعتقد أنها فكرة جيدة أن نلتقي ثانية في وقت قريب. أرجوك افهمني!

تراجع ليسندر عن التفوه باعتراضه الغاضب، فقط لأنه يستطيع أن يرى مدى خيبة أمل أنيتا. لكن كيف يستطيع بحق السماء أن يتفهم حاجتها للبقاء بعيداً عنه لفترة، في حين أنه لا يفهم حقاً لما هي غاضبة منه؟ حسناً! لا بد أن لديها مبادئ، وأنها لم تتصادق معه

لتكسب أي شيء من ماله، ما يدل على صدقها ونزاهتها. هذه الفكرة أصابت رضىً كبيراً عميقاً في داخله. كيف لا يحدث ذلك بعدما فعلته به مريانا؟ لكن ببساطة، أنيتا تضع الحواجز حيث لا داعي لوجودها مطلقاً، لا سيما إن أصرت على النظر إلى امتلاكه للمال وإلى جذوره الاجتماعية كنوع من العلامة السوداء ضده.

أتراها تفكر حقاً في وضع حد نهائي لعلاقتهما لأنه غني؟ أراد ليسندر أن يشتم بصوت عال حتى يبح صوته. منذ أن تعرف عليها وهو يشعر بعاطفة خاصة ومميزة تجاه هذه المرأة، ومع أنه خائف من تعمق هذه العلاقة أكثر فأكثر في أفكاره، إلاّ أنه لا يريد لها مع ذلك أن تنتهي.

سار معها على مضض، إلى مدخل الفندق حيث تنزل، غير قادر على القيام بأي شيء. تمنى لو أنه واجه حواراً مختلفاً جداً عن هذا النقاش الذي دار بينهما، وحاول أن يخفف من كبريائه عندما أدارت رأسها بعيداً عنه، ولم تسمح له أن يعانقها مودعاً ومتمنياً لها ليلة سعيدة.

* * *

وضعت أنيتا في يدها حبّتي مسكن لألم الرأس من العلبة الصغيرة التي كانت تضعها في حقيبة يدها وابتلعتهما مع جرعة كبيرة من الماء، ثم ابتسمت لانعكاس صورتها الشاحبة في مرآة الحمام. من المؤكد أنها أصبحت تبدو بشكل أفضل.

تأخر الوقت عند الصباح، وهي لا تزال نائمة، ذلك أنها لم تتمكن من النوم حتى ساعات الفجر الأولى. بقيت أحداث الليلة الماضية تعود تكراراً إلى فكرها في إعادة مزعجة، فالأشخاص الذين سهرت معهم مروا عبر أفكارها كأنهم أشباح تطاردها. والآن، ها

هي تشعر برأسها حاراً جداً كأنها في الصحراء، وكأنه مليء بقطيع من الجمال تسير بخطى ثقيلة في داخله. بفضل إرادتها القوية فقط منعت نفسها من الاستسلام للدموع التي راحت تضغط بقوة من وراء جفونها.

لِمَ لم يتمكن ليسندر من وضع ثقته بها، وإخبارها بحقيقة عمله؟ لو أنه فعل، أما كانت لتشعر بالشعور نفسه نحوه؟ لكن، حتى وهي تتأمل وتفكر في جوابها، كان عليها أن تعترف بصمت أنها متيمة بعمله الرومانسي لأنه مجرد مصور بسيط، يعيش حياة حرة سهلة تسمح له بالسفر كما يشاء ليلتقط صوره.. هو مجرد روح حرة. تصوّرت أنه نشأ في عائلة يونانية عادية جداً تحبه كثيراً، وأن عائلته فخورة بشكل لا يعقل بإنجازاته. عائلة قد يرغب في تقديمها لها بعد مرور وقت كافٍ... عائلة قد تساعدها على ملء الشوق الشاغر في أعماقها لتتعرف إلى العائلة التي ولدت منها.

وبدلاً من ذلك قدمها ليسندر إلى عائلة توازي في ثرائها العائلة المالكة في بريطانيا! لم يكن هناك أي أثر للبساطة في ما يتعلق بحياة ليسندر روساكيس. يمكنها أن ترى ذلك على بعد أميال. هناك الكثير من التوقعات والطلبات التي تعتمد عليه... الكثير من الواجبات المطلوبة منه نحو عائلته الثرية. أما لقاؤه مع تلك المرأة التافهة العنيدة إلكترا كومانيديس فما هو إلاّ محاولة تحقيق ارتباط بين العائلتين الشهيرتين في الزواج! لم يوفر طاكس كومانيديس أي جهد في التحدث عن نسبه والعلاقات المهمة لعائلته. أمّا أنيتا فكلما سمعته يتحدث أكثر، كلما شعرت برغبة أقل لتخبره أي شيء عن نفسها. وعندما بدأ بالتحدث بصوت عالٍ عن ابنته الجميلة قائلاً إنها مجرد «سيدة منزل بسيطة» في أعماقها... فتاة تطمح إلى زوج

www.elromancia.com

وعائلة لتصبح حياتها مكتملة، أدركت أنيتا أنه يفعل ذلك كي يحذرها بأن العائلتين تعقدان آمالاً حقيقية على أن ليسندر وإلكترا قد يصبحان زوجين.

أبعدت أنيتا نظراتها عن طاكس الذي كان يحدق بها بحدة لتنظر إلى الرجل الذي يحتل أفكارها طوال ساعات يومها، ووجدت أن حبيبها، كما هو واضح، منهمك بأي كلام تقوله له المفترسة إلكترا. كم تمنت أن ينمو لها جناحان لتطير عائدة إلى الجزيرة على وجه السرعة. لكن بدلاً من ذلك، كان عليها أن تتحمل عدة ساعات بعد من الانزعاج والقلق، قبل أن تتمكن أخيراً هي وليسندر من المغادرة، وتوديع الجميع.

أمّا الآن، وعلى الرغم من إحساسها بالألم وخيبة الأمل لأنه كذب عليها بشأنه حياته الحقيقية، وخشيتها المرعبة من أنه قادر على الكذب بشأن أي شيء آخر، لم تستطع أنيتا إلاّ أن تشتاق لتكون بين ذراعيه من جديد. سمها ما تشاء: ضعيفة، مضلّلة، مسحورة... من الصعب عليها مقاومة تلك العواطف القوية التي تسيطر عليها. كل ما تريد أن تفعله هو أن تبعد نفسها عن كل ما تبقى من العالم وأن تعود فقط إلى الإحساس بذراعيه القويتين اللتين تلفانها بحماية وحنان، وتجعلانها تشعر بأنها محبوبة، مع أنه لا يحبها مطلقاً كما هو واضح...

رن جرن الهاتف على الطاولة الصغيرة بجانب سريرها، مشتتاً الهدوء النسبي للغرفة. كانت لا تزال تحدق في المرآة، فرأت بريق الأمل يشع في عينيها؛ قد يكون ليسندر هو المتصل. أسرعت بالعودة إلى غرفة النوم ونزعت الهاتف من مكانه بقوة.

- نعم!

- الآنسة داين؟

ردَّ عامل الاستقبال بنبرة حازمة، ثم تابع: «لديك زائر يتمنى أن يراك. هل يمكنك النزول إلى القاعة؟».

من تراه يكون غير ليسندر؟ أتراه أتى ليعتذر؟ ربما لديه سبب مهم لعدم إخبارها الحقيقة بشأن عمله، والآن هو يريد أن يشرح لها الأمر. على الأقل، يمكنها أن تستمع إليه. أليس كذلك؟ الجزء المنطقي في دماغها أخبرها أنها مثل كل النساء المغرمات، تتصرف بطريقة تجعلها عمياء عن أخطاء حبيبها، لكن أنيتا لا تريد حتى الوصول إلى هناك. كل ما تريد القيام به الآن هو أن ترى وجه الرجل الذي تحبه. الرجل الذي هي بحاجة إليه.

أبعدت أنيتا شعرها عن جبهتها فجأة بحركة تنم عن نفاد الصبر، ولم تتردد في إعطاء جوابها: «سأنزل إلى قاعة الاستقبال على الفور».

وصلت إلى قاعة الاستقبال العالية السقف، ذات الأرض الرخامية الملونة. كانت تنتعل صندالاً ذا نعل مطاطي بالكاد يصدر أي صوت على الأرض الحجرية، وترتدي فستاناً صيفياً زهري اللون مربوطاً بشريطين رفيعين يظهران بصورة رائعة كتفيها السمراوين. سرعان ما اكتشفت أن الزائر ليس ليسندر بل طاكس كومانيديس، وقد جاء مرتدياً بذلة رسمية.

ابتلعت خيبة الأمل المريرة، وبالكاد تمكنت من سماع صوتها لأن الصوت الطنان لدقات قلبها ملأ أذنيها. صلّت أنيتا كي لا يلاحظ الرجل العجوز أنها كانت تتوقع رؤية ليسندر.

- سيد كومانيديس؟ هذه مفاجأة حقاً!

- صباح سعيد، أنيتا! من فضلك اعذري تطفلي، لكنني آمل أن

تتمكني من إعطائي نصف ساعة من وقتك أو أكثر، وتأتي لتناول القهوة معي!

بالكاد عرفت ما الذي ستفكر فيه بشأن هذه الدعوة المفاجئة وغير المتوقعة. مررت أنيتا يديها بعصبية على ثوبها، ثم لمعت في رأسها فكرة أصابتها بصدمة. هل أتى إلى هنا ليحذرها كي تبقى بعيدة عن ليسندر، لتخلي الطريق لابنته فتتمكن من التقرب منه؟

بصعوبة، ابتلعت استياءها وألمها. أجبرت أنيتا نفسها على البقاء هادئة، وقالت: «هل هناك خطب ما، سيد كومانيديس؟».

بلمحة سريعة نظر الرجل إلى خاتم الزواج الذي يضعه في إصبعه، وهو خاتم من الذهب السميك، ثم أسقط يده إلى جانبه. ابتسم لها، كاشفاً عن أسنانه البيضاء التي تظهر بوضوح الكلفة الباهظة على صيانتها، وقال: «من فضلك، نادني طاكس. ما من سبب يدعوك للحذر، عزيزتي. أريد ببساطة أن أتحدث إليك قليلاً. فهل تعطيني هذا الشرف؟».

لم تستطع أنيتا إيجاد سبب مقنع لرفضه. مالت برأسها على مضض، وقالت: «حسناً!».

- أنت تعلمين... عندما رأيتك للمرة الأولى، عزيزتي، أصبت فعلاً بصدمة.

حرك طاكس فنجان قهوته وهو يجلس في المقهى. رفع عينيه السوداوين المليئتين بالحزن إلى أنيتا، وبدا كأنه يتمعن في النظر إليها.

تحديقه المدقق جعل أنيتا تشعر بالانزعاج، لا سيّما أنها لا تزال غير مطلعة على السبب الذي دفعه إلى التحدث إليها.

- أحقاً؟ ولماذا حدث ذلك؟

اعترف طاكس وهو يتنهد بعمق: «أنت بالفعل صورة حية لامرأة كنت أعرفها».

تجهم وجه أنيتا، منتظرة منه أن يشرح لها ما قاله.

- كان اسمها أنيتا أيضاً... كانت فقط في الثامنة عشرة، وأنا كنت في الرابعة والعشرين عندما تزوجنا سرّاً. حدث ذلك منذ أكثر من ثلاثين عاماً. الجزء التالي ليس من السهل قوله بصوت عالٍ، لكنني سأحاول.

لم تعر أنيتا أي انتباه لفنجان قهوتها. وبالكاد تمكنت من إبعاد عينيها عن طاكس.

سحب منديلاً ناصع البياض من جيب سترته، ومسح حبات العرق عن جبهته قبل أن يتابع: «أخبرتك ليلة البارحة القليل عن تاريخ أجدادي. فعائلتي كوّنت اسمها وثروتها منذ زمن قديم جداً. فنحن... كيف يمكن أن أقولها؟ عائلة ثرية منذ القدم. أمّا عائلة أنيتا فكانت لديها قصة مختلفة. عائلتها فقيرة... فقيرة جداً. وبدون أي شك، لم يقتنع أحد بأننا متكافئين. بالإضافة إلى أن عائلتها كانت متدينة جداً إلى حد التعصب، على العكس من عائلتي... كانت أسباب التناقض التي تمنع استمرار علاقتنا قوية جداً، أقوى منا نحن الاثنين. لكن مع ذلك... لو كانت لدي الشجاعة للوقوف ضد أوامر والدي، لأعلنت زواجنا عندما أصبحت حاملاً بطفلي».

توقف عن الكلام ليهز رأسه وتخيلت أنيتا أنها رأت دموعاً تلمع في عينيه السوداوين المعبرتين. تباطأت دقات قلبها وبدا لها أن الدماء في جسمها قد اتجهت مباشرة إلى رأسها. سألته، وهي تشعر بجفاف في فمها، جعل التلفظ بالكلمات أمراً بالغ الصعوبة: «ما الذي... ما الذي فعلته؟».

- أعطيتها المال لتسافر إلى إنكلترا لتخضع إلى عملية إجهاض.

- و.. وهل فعلت ذلك؟

في تلك الأثناء كانت أنيتا تلوي يديها معاً على الطاولة أمامها، وأصبح وجهها أكثر شحوباً في كل لحظة تمر. منذ ثلاثين سنة...؟ هذا ما قاله... إذاً قبيل الوقت الذي ولدت فيه أنيتا! مسح الرجل الجالس قبالتها جبهته مرة ثانية بمنديله الكبير، وتابع: «لم أرَ جميلتي أنيتا أو أسمع عنها ثانية، لذلك لا أستطيع الإجابة عن ذلك. قلت لنفسي إنها لا بد أحبت الحياة في إنكلترا، واستقرت هناك. لا يمر يوم في حياتي دون أن أفكر فيها. وعندما دخلت إلى منزل صديقي ليلة البارحة... بالكاد استطعت تصديق عيني. أنت تبدين كصورة عنها لدرجة أثارت خوفي. فأنت تبتسمين مثلها تماماً، وتتحركين مثلها! لم أتمكن طوال الليل من النوم وأنا أفكر».

تابع متسائلاً بلهفة واضحة: «من هما والداك، أنيتا؟ هل لديهما أية صلة ببلادي، ربما...؟».

سمعت نفسها تجيب: «والداي كلاهما من إنكلترا».

شعرت بألم يعتصرها من الداخل، وكأن شخصاً ما رمى قنبلة يدوية في غرفة أنيقة ودمرها.

- أمي من سوسكس وأبي من يوركشاير. جداي كانا أيضاً من أصل بريطاني، وعلى حد علمي فإن والديهما كانا كذلك. أنا آسفة لأنني لا أستطيع أن أخبرك أي شيء أكثر من ذلك، سيد كومانيديس.

- فهمت! أعتذر لإخبارك قصتي الحزينة أنيتا، لكنني آمل أن تتفهمي لماذا كان عليَّ إخبارك بها... كان عليَّ أن أسألك؟

- الأحداث المثيرة للدهشة تحدث طوال الوقت.

رفعت أنيتا كتفيها وابتسمت. وبتردد، رفعت فنجان قهوتها بيدها المرتجفة إلى شفتها، ورشفت منه. تابعت: «إني آسفة إن كان مظهري قد حرك لديك جروحاً قديمة. أنا متأكدة، أينما كانت أنيتا تلك التي تعرفها الآن، أنها بخير وهي سعيدة. ربما من الأفضل ترك الذكريات القديمة وشأنها... ألا تعتقد ذلك؟».

للحظة التقت نظراتهما واستمرا بالتحديق ببعضهما البعض. ثم أبعدت أنيتا نظرتها بسرعة، غير قادرة على التعامل في الوقت نفسه مع الأمل الخائب ومع الإحساس بالأمان اللذين رأتهما في عينيه. شعرت بأنفاسها تضيق في صدرها حتى بالكاد استطاعت التنفس. إنها بحاجة لأن تكون بعيدة عن الحشود. هذا ما أدركته وهي تنظر حولها إلى الناس المجتمعين حول الطاولات المنتشرة في المقهى، يستمتعون ببراءة بنهارهم. هي بحاجة لأن تكون بعيدة جداً عن الناس. فالذي باح به طاكس كومانيديس للتو كثير جداً عليها لتتمكن من استيعابه كله دفعة واحدة.. إنها بحاجة ماسة لأن تكون بمفردها...

٩ - في الطريق إلى الجحيم

التجأ ليسندر أخيراً إلى الشيء الوحيد الذي يؤمن له الإلهاء الذي هو بحاجة إليه، كي يتجنب الانهيار بسبب الإحباط والتوتر اللذين يسيطران عليه. حمل الكاميرا، وكيساً من الفواكه وزجاجة من الماء، وضعها كلها في حقيبة توضع على الظهر. علقها على كتفه وغادر المنزل الصغير الذي يطل على المرفأ، قاصداً تحقيق الهدف الذي قرر القيام به في هذا النهار.

سار عبر الطريق الوعرة المليئة بالغبار حتى وصل إلى الطريق الرئيسية للبلدة الصغيرة، راغباً في القيام بزيارة إلى صالة العرض التي تخصّ صديقه آري قبل أن ينطلق نحو التلال المحيطة لالتقاط بعض الصور للمناظر الطبيعية.

أمِل ليسندر أن يُمكّنه القيام ببعض النشاط الجسدي واستعمال مهارته في التقاط الصور من لجم رغبته المتزايدة في رؤية أنيتا مرة ثانية. إذ أراد أن يتجنب ذلك الوضع الحرج حيث سيجبر على الدفاع عن نفسه بضراوة. قالت أنيتا إنها بحاجة لبعض الوقت قبل أن تراه مرة ثانية. كم من الوقت تقصد؟ يوم؟ أسبوع؟ أم فترة أطول من ذلك؟هل سيراها ولو لمرة قبل أن تقرر السفر نهائياً إلى إنكلترا؟

أطلق شتيمة في سره لعدم قدرته على إبعادها نهائياً عن أفكاره. وبتعمد، راح ليسندر يوسع خطاه آملاً بطريقة ما أن يتخلص من أفكاره.

مرَّ بمقهى صغير أنيق، يرتاده أثرياء أثينا. توقفت ساقاه عن الحركة ما إن رأى طاكس كومانيديس، صديق والده القديم، مع أنيتا. وبينما كان يراقبهما نهضا معاً من أمام الطاولة التي كان يجلسان حولها، وعانق كومانيديس أنيتا بحرارة.

تنافس عدم التصديق مع الغضب المزعج في داخله، وكأن دوياً قوياً يتصاعد في كيانه. تصبب العرق من ظهره بينما سيطرت الحرارة على كامل أنحاء جسمه، وكاد يرى كل ما حوله وقد اصطبغ باللون الأحمر. شكوكه عن اهتمام طاكس الشديد بأنيتا ليلة البارحة في منزل والديه لم تكن من صنع خياله كما هو واضح. ها هو الرجل يقوم بخطوة مباشرة نحوها وتحت أنف ليسندر! لقد افترض وبشكل طبيعي أن صديق والده متزوج، فلقد لاحظ خاتم الزواج في إصبع الرجل، لكن من الواضح أنه ليس بعيداً عن الحصول على عشيقات، وهو يرغب في أن تكون أنيتا العشيقة التالية.

رآها تسير بسرعة عبر الدرج الحجري الملتوي الواسع الذي يقود إلى الطريق العام. شعرها الأسود يتأرجح بحرية على ظهرها، وهي مرتدية ثوباً صيفياً زهري اللون، فلم يتردد ليسندر باللحاق بها. انتظر حتى استدارت داخل الطريق الضيق الذي يعيدها إلى الفندق، قبل أن يعدو بأقصى سرعة ليصبح بقربها. كان غاضباً جداً ليتصرف بتهذيب. أمسك بذراعها، ودفعها بقوة إلى صدره.

أولاً رأى الخوف في عينيها، ثم نظرة التعرف عليه، وبعد ذلك علتهما الحيرة المتزايدة وهي تحدق به متفاجئة. للحظة، شعر كأنه ينتشي من رؤية ملامح وجهها الناعمة الأنيقة التي كانت قريبة منه من جديد. لكن بعد ذلك تذكر أنها كانت راغبة في خداعه، على الرغم من تظاهرها بالمبادئ، وكاد غضبه أن يخنقه.

- ما الذي كنت تفعلينه مع طاكس كومانيديس؟ أجيبيني!

بدت أنيتا كمن تعرض فجأة لمواجهة عاصفة عنيفة. في لحظة، كانت تسير بأمان عبر الطريق، راغبة في العودة بسرعة إلى غرفتها في الفندق لتتمكن من استيعاب المعلومات المذهلة التي باح بها طاكس، وفجأة، وبطريقة خشنة أدارتها يدان قويتان دفعتا إياها نحو صدر حبيبها في وسط الطريق!

أدركت أن الأسلوب اليوناني يقود أحياناً إلى التعبير عن العواطف بصورة علنية، لكنها ظلت تشعر بصدمة كبيرة لتعامل ليسندر معها بهذه الطريقة، تحت أنظار المارة الذين راحوا يحدقون إليهما بدون أي خجل.

- دعني! ليسندر، ما الذي أصابك؟

حاولت أن تخلص ذراعها، فتركها ليسندر بصورة غير متوقعة عندما لم تكن مستعدة، فانزلقت قدمها على نحو مربك على الحجارة المصقولة في الشارع فكادت تفقد توازنها.

- أين أصبحت مبادئك الشهيرة الآن، أنيتا؟ أخبريني! ماذا تعتقدين أنك كنت تفعلين؟ تتناولين القهوة مع صديق والدي؟ أتراكما كنتما تتبادلان معلومات سرية عن الاستثمار؟

كانت تعابير وجهه تنم عن ازدراء قاسٍ وهو يتابع: «أهذا هو السبب الذي دعاك لتقولي لي ليلة البارحة إنك بحاجة لبعض الوقت قبل أن ترغبي برؤيتي ثانية؟ ما الذي فعله طاكس؟ هل قدم لك عرضاً لم تستطيعي أن ترفضيه؟»

ما إن بدأ معنى الكلمات الغاضبة التي رماها بها يدخل إطار فهمها، حتى شعرت أنيتا بأن قدميها قد تحولتا إلى مطاط. شعرت بعينيها تخزانها بقوة وهي تحدق به غير مصدقة. وضعت يدها على

ذراعها حيث أمسكتها أصابعه من قبل بقوة، وهي تشعر باستيائها يزداد وينمو.

قالت وهي تهز رأسها بخيبة أمل: «أنت لا تعرف عما تتحدث، فأنا التقيت بالرجل ليلة البارحة فقط. كيف يمكنك أن تكون بمثل هذه البلاهة؟».

- إذاً، أنا الآن أحمق، كما أنني كاذب أيضاً!

غمر الغضب ملامح وجهه الوسيمة السمراء، لكن ذلك لم يسئ إلى ذلك الوجه الرائع الجمال للحظة واحدة. إلاّ أن رؤية ذلك الغضب جعل قلب أنيتا يغوص حتى قدميها كأنه صخر عظيم، لانعدام الثقة بينهما. فكرت بأسى أن انسجامهما معاً في العلاقة العاطفية، لا يعني أن كل شيء آخر سيسير بانسجام بينهما على مدار الساعة. أليس كذلك؟ أتراها وضعت الكثير من الآمال في علاقتهما؟

- أفضل عدم متابعة النقاش في العلن هكذا.

قالت له ذلك، وهي تشعر بوجهها يحترق من شدة الاحمرار بسبب تحديق الناس المحيطين بهما، والذين كانوا يتوقفون في منتصف الطريق لينظروا إليهما.

- إذا أردت التحدث إليّ، سنفعل ذلك كشخصين متحضرين، وليس وأنت تصرخ في وجهي في الشارع! أعطني نصف ساعة أو أكثر قليلاً، وبعد ذلك يمكنك الذهاب إلى الفندق، حيث سأكون بانتظارك.

- لن أنتظر لمدة نصف ساعة! لماذا تحتاجين إلى هذا الوقت كله؟ هل تريدين أن تلفقي كمية من الأكاذيب لإقناعي بأنك لا تقيمين علاقة مع صديق والدي؟ لقد خُدعت من قبل من قِبَل امرأة

www.elromancia.com

ماهرة، أنيتا، وأصبحت عليماً بخداع النساء. لا! ستأتين معي الآن، سنعود إلى منزلي، وستتحدث هناك. الآن!

- لا، ليسندر. أنا لن أذهب إلى أي مكان معك...

من الطبيعي أن تتوقف فجأة بسبب غضبه، وأوامره الديكتاتورية، لكن حتى وهي تتلفظ بكلماتها معترضة، راحت أنيتا تفكر بقوة بتلك الكلمات التي تلفظ بها. لا سيما الجزء المتعلق بكونه خُدع من قبل امرأة ماهرة في الخداع. أتراه يتكلم عن زوجته؟ حاولت أن تدرك الدوافع الحقيقية الكامنة وراء الغضب الذي جعل عينيه الزرقاوين الرائعتين تبدوان كالعاصفة الآن... علمت أنيتا أنها لن تتمكن من التعامل مع ما قاله لها طاكس بأي وضوح إن لم تتعامل بنجاح مع هذه المواجهة مع ليسندر الغاضب أولاً.

راح ليسندر يكرر ما قاله بغضب، وبصوت أعلى.

- حسناً!

نظرت حولها، ورأت اهتمام المارة وقد وقفوا بانتظار ما سيحدث بعدذلك، فتنهدت وتابعت: «سأذهب معك».

من دون أي تعليق، وبدون أن ينتظر ليرى إن كانت تنوي الإذعان، كما قالت، حمل ليسندر حقيبة الظهر بطريقة حازمة أكثر على كتفه، وسار بخطى ثابتة متجهاً إلى الطريق التي أتى منها.

* * *

وصل ليسندر إلى الشرفة المرصوفة بالحصى، مجتازاً الجسر الخشبي الضيق، الذي غيّر الزمن وتقلبات الطقس لونه. ترك أنيتا تتبعه على طريقتها، فهو بحاجة إلى بعض الوقت ليحاول تهدئة فورة خيبة الأمل وأفكار الشك التي تتصارع داخل رأسه. اعترف لنفسه أن السبب الوحيد الذي جعله يطلب منها أن تعود معه إلى المنزل لتقدم

له تفسيراً هو أنه لا يستطيع سوى الاعتراف بشوقه العميق إليها. فلو أنه لم يكن واقعاً بقوة تحت تأثيرها لطلب منها أن تذهب إلى الجحيم مع طاكس كومانيديس، ولا تمر أمام بابه ثانية. من الواضح أن النساء الجميلات المخادعات هنَّ نقطة ضعفه الوحيدة، وهو يحتقر ذلك الضعف في نفسه، فهو لا يجلب له إلاَّ الحزن والأسى.

وقع خطاها على الحصى، مع تنهيداتها الناعمة القلقة، جعلته للحظة ينسى غضبه ويستدير ليتأملها. انحدر أحد الشريطين الرفيعين اللذين يحملان فستانها القطني الزهري اللون عن كتفها، فلم تقم بأية محاولة لإعادته إلى مكانه. مع أن جزء من ليسندر اشتاق لإعادة ذلك الشريط إلى مكانه ليتسنى له ملامسة كتفها، إلاَّ أنه تمسك بغضبه كما يتمسك الجندي بدرعه الحديدي في المعارك ضد سحرها المستفز. لم يسمح لنفسه أن يرق لها ولو قليلاً.

قال غاضباً وقد جاء صوته كالقصف المدفعي: «حسناً! والآن ستخبرينني ما الذي كنت تفعلينه في المقهى مع الرجل».

- إنه مجرد لقاء بريء جداً.

نظرت أنيتا عمداً إلى المحيط المضطرب المتلاطم الأمواج؛ اليوم بدا لونه رمادياً كالحاجز الحجري بدلاً من أن يكون مشعاً بلونه الأزرق المخضر.

طال تحديقها للحظات طويلة، وشعر ليسندر فعلاً بالغيرة. من الواضح أن المحيط يشد انتباهها أكثر منه.

- كنا ببساطة نتحدث، هذا كل شيء!

- تتحدثان؟

لوى ليسندر شفتيه بسخرية وتابع: «أتى طاكس من أثينا إلى هنا لمجرد التحدث معك؟ عمَّ تكلمتما بالتحديد؟».

حركت أنيتا يديها معاً، وبدا كأنها لا تريد أن تنظر إليه مطلقاً. قالت: «أنا لست... لا أستطيع أن أخبرك. الأمر لا يتعلق بأي شيء تتخيله، ليسندر... أقسم لك بذلك».

- ولماذا عليّ أن أصدقك؟ ألا تعتقدين أن الأمر يبدو مثيراً للشك من وجهة نظري؟ رجل قابلته فقط ليلة البارحة في منزل والديّ يدعوك لتناول القهوة صباح اليوم التالي، من دون أن يكون لديه دوافع خفية؟ أنا لست مجرد شخص عادي جاهل، أنيتا. وأنت ترتكبين غلطة كبرى إن اعتقدت أنني كذلك!

تقدم خطوة نحوها، وبصورة آلية تراجعت إلى الوراء قليلاً، وقد بدا القلق على وجهها. على الفور ندم ليسندر على تصرفه المتهور السابق، عندما أمسك بذراعها على الطريق. في العادة، هو لا يسمح للإحباط والغضب أن يفقداه السيطرة على نفسه بهذا الشكل، وعليه أن يعمل بجهد كي لا يسمح بحدوث ذلك ثانية.

قال بنبرة آمرة: «والآن، توقفي عن التصرف بتحفظ وأخبريني الحقيقة».

شعرت أنيتا بألم في رأسها بسبب المجهود التي تبذله وهي تحاول أن تتعالى على الإحساس بالعاطفة الجارفة التي تجعل من الصعب عليها أن تفكر. قالت بغضب، وقد رفعت حاجبيها بخيبة أمل عميقة: «من أنت لتطلب الحقيقة وقد أخفيت حقيقتك عني، فلم تخبرني شيئاً عن عائلتك وعملك؟».

- ها قد عدنا إلى ذلك الموضوع ثانية، أليس كذلك؟

من الواضح أن هذه خطة مقصودة لتبعد تفكيره عما كانت تفعله مع طاكس. حف ليسندر يده على قفصه الصدري المتوتر، ونظر إليها بنظرة قاسية لا رحمة فيها.

- لدي أسبابي لعدم البوح بشكل كامل بما أفعله أو باسم عائلتي. لم أقدم على خداعك عمداً. لكنني أطلب معرفة ما الذي كنت تفعلينه مع طاكس كومانيديس! وإن لم تخبريني الحقيقة، فلا يسعني إلاّ تخيل أسوأ الأمور التي أنت قادرة على القيام بها. ولا توهمي نفسكِ بالظن أنه من السهل عليك خداعي، أو أنني قد أسامحك. لقد عانيت من قبل حتى التخمة من تجربة خداع عندما خانتني زوجتي مع رجل آخر. وأنا لن أتحمل ذلك منك!

إذاً، زوجته هي من خدعته! لا عجب أنه قفز إلى أسوأ استنتاج عندما رأى أنيتا مع طاكس كومانيديس!

للحظة، رقت مشاعرها وأحسّت بتعاطف كبير نحوه. تمنت لو أنها تستطيع أن تبدد غيمة الشك التي تعذبه، حتى إن ذلك دعاها لتسامحه لأنه كذب عليها. لكنها لا تستطيع أن تخبره عما تحدث به طاكس معها. كيف يمكنها ذلك؟ فهي بالكاد حظيت بالوقت لتستوعب قصته المذهلة بنفسها، ولم تفكر بعد بمضمون ما سمعته وباحتمال أن تكون هي ابنة هذا الرجل! كما أنه طلب منها ألاّ تفشي ما تحدثا به لأحد، فشعرت أنها مجبرة على وعده بذلك. من الواضح أن الرجل لا يريد تلطيخ سمعته أمام عائلته وأصدقائه، وليس من شأنها التحدث عن قصص حب مضى عليها الزمن وانتهت بمأساة وحزن ولوعة.

لا تستطيع أنيتا أن تفشي سر ما تحدثا به، لكنها علمت أن ليسندر لن يصدقها إلاّ إذا فعلت.

لم يكن أمامها أي خيار. مهما بدا الأمر صعباً، فعليها أن تخبره الحقيقة من دون البوح بسر طاكس. إن رأت أن رأي ليسندر فيها هو حقاً سيّئ لدرجة أنه يصدق خيانتها وتخليها عن مبادئها، فعليها أن

www.elromancia.com

تتقبل رأيه وتترك الأمر على حاله، حتى لو شعرت بقلبها ينزف.

- أنا لا أخدعك مع صديق والدك، ليسندر. أقسم لك بذلك. إني آسفة لأنك تفكر بالأسوأ، ولن يتسنى لي الفرصة لإقناعك بعكس ذلك. لكنني أخبرك الحقيقة. الحقيقة هي أنه من المحتمل ألاّ تقع عيناي على الرجل مرة أخرى بعد اليوم.

أراد ليسندر أن يصدقها، سأل نفسه كيف يمكن لها أن تخدعه وهو يسمع في صوتها الصدق، ويرى عيناها تناشدانه بشتى الوسائل كي يتفهمها؟ لكنه يرغب بشكل يائس أن يعرف لماذا أتى طاكس باحثاً عن أنيتا لمقابلتها في الجزيرة. استنتج مفكراً إن لم يكن هناك ما تخفيه، إذن لماذا لا تخبره الحقيقة الكاملة، وتنهي ذلك الشك البشع وعدم الثقة السائدين بينهما؟

- ليسندر!

تقدمت أنيتا ووقفت أمامه، تورد خداها في وجهها الجميل ما جعل ليسندر يضعف أمامها. مد يده بالرغم من إرادته ومرر أصابعه بلطف على خدها. فتح راحة يده ليمسك بجانبه وجهها الصغير الناعم والرقيق كوجه الطفل، والتقت عيناه بعينيها المندهشتين مرة ثانية.

- أنت فاتنة ورائعة الجمال، لذا أنا لا أستغرب رغبة طاكس كومانيديس بالحصول عليك.

بدا هناك شيء ما في صوته الأجش ملفتاً للنظر. نظرة عينيه المليئتين بالحيوية أبرزتا النور الساطع الذي ظهر فجأة فيهما بسبب الحرارة اللاذعة. ضاقت الأصابع التي تلف جانب وجه أنيتا بشكل واضح... هو لا يستطيع أن يقاومها رغم خشيته من احتمال زيارة ذلك الجحيم نفسه الذي زاره من قبل مع مريانا. سيأخذ أنيتا

معه...

وقبل أن يستمر بنوبة الجنون بسبب المزيد من الغيرة، والأفكار التي تجلده، ضمها إليه وعانقها بشدة، وهو يشعر أن حرارة الشوق بينهما تزداد ضراوة.

كلما عانقها يشعر أنه ذهب معها إلى الجنة وعاد. وإن تبيّن له لاحقاً أنها مخادعة صغيرة وشريرة مثل زوجته، فهو الآن بدون أي شك، في منتصف الطريق نحو الجحيم.

ابتعد عنها قليلاً وقال: «سأذهب لأحضر شراباً ما».

تبعته عينا أنيتا وهي تنظر إلى ظهره العريض. أصبح حبه كالإدمان بالنسبة لها. لم تصدق كيف تمكنت زوجته أن تخونه. لا بد أن تلك المرأة لم تكن بكامل وعيها ورشدها، فلو كان ليسندر زوجها...

أبعدت الفكرة عن رأسها بقسوة، لأنها بدون أدنى شك ستوصلها إلى العذاب فقط. فهو ليس لها، لن يحدث بينهما ذلك مطلقاً. إن حققت أمنية والديه وطاكس كومانيديس فسيصبح في غضون أشهر قليلة متزوجاً من آكلة لحوم البشر إلكترا. ستزيد عائلتان يونانيتان ثريتان قوتهما وسلطتهما من خلال ذلك الزواج.

وماذا إذا اتضح أن إلكترا كومانيديس هي أخت لأنيتا؟ صدمت أنيتا حين فكرت بذلك. ففي تلك الحالة ستعيش إلى الأبد وهي تتعذب لأن الرجل الذي أحبته، تزوج من امرأة تربطها بها قرابة دم.

التفكير باحتمال حدوث ذلك بدا مثيراً للصدمة تماماً، كشق جرح خشن وقديم بسكين حاد. تذكرت القصة التي أخبرها بها طاكس... حركت أنيتا جسمها لتتخلص من تشنج معدتها العنيف. وانتظرت قليلاً ثم تبعته إلى المطبخ الصغير. لم تكن قادرة على إبعاد نظرات

www.elromancia.com

الإعجاب عن ملامح وجهه الجدي وهو ينحني أمام البراد الصغير ليأخذ علبة من العصير.

سألته: «هل أستطيع استعمال غرفة الحمام؟».

وبانتباه جمعت شعرها حول أذنها ما إن استدار ليتحدث معها.

- بالطبع!

لم يبتسم. فحزرت أنيتا أنه لم يسامحها لأنها لم تخبره عن سبب لقائها بطاكس. لم تعرف كيف ستتمكن من إقناعه بعدم وجود أي أمر خفي وغير مستحب. بدا لها أن المبادئ الحذرة التي تتحلى بها وغيرتها قد انقلبت عليها الآن. لقد تشاجرت مع ليسندر لأنه لم يخبرها كل الحقيقة عن عائلته ومصدر رزقه، وتركها تعتقد أنه مجرد مصور عادي. لكنها بدورها لم تكن صريحة معه بشأن حياتها الخاصة. في الواقع، باحت له بالقليل القليل عن نفسها، ولا عجب أنه يشعر بالشك في دوافعها!

قالت مقترحة بتردد: «عندما أعود، ربما يمكننا التحدث».

سكب عصير الأناناس من العلبة في كوبين طويلين قبل أن يجيب: «إذا كنت راغبة في إخباري عنك وعن طاكس كومانيديس، إذاً ستتحدث. وإن...».

تفحص وجهها بنظراته المحدقة المليئة بالاتهام، ثم رفع كتفيه بطريقة لامبالية، وقال: «إذاً، ليس هناك ما نستطيع التحدث عنه، أنيتا. فالأمر بسيط جداً».

صُدمت مما سمعته. وشعرت في أعماقها بصدمة باردة كالثلج.

رفضت أن تظهر خيبة أملها أمامه، نظرت بعيداً بحزن، وسارت مباشرة إلى غرفة الحمام لتذرف دموعها المحبطة بمفردها وبخصوصية تامة.

أخذ ليسندر يقود سيارته في شوارع العاصمة أثينا، المليئة بالحركة والازدحام متوجهاً إلى قصر طاكس كومانيديس. جعله وجود مكيف الهواء داخل سيارة المرسيدس المترفة يشعر بالانتعاش بينما وصلت الحرارة في الخارج إلى درجات مرتفعة. لكن دماغ ليسندر المتّقد حرارة ظل متمسكاً بتلك الحقيقة التي لا تقبل الجدل؛ ذلك الانجذاب القوي يفوق التصور بينه وبين أنيتا. من المحتمل أن يكرر الحالة التي عاشها مع مريانا. إذا كانت أنيتا تميل بعاطفتها باتجاه رجل آخر، فإن ليسندر لن يستطيع تحمل ذلك.. مع ذلك سمح لها وبكل برودة أن تغادر منزله وهي تشعر بخيبة أمل البارحة. في الحقيقة تمكن بصعوبة من منع نفسه من أن يأخذها بين ذراعيه.

هو يعلم أنه وقع بحبها.. وبقوة. وليس هناك مجال لأقل مساحة من الشك في فكره. وهذا هو السبب الذي دعاه للعودة إلى أثينا لرؤية والده، ليحصل على عنوان طاكس. سواء كانت دوافع الرجل شريفة نحو أنيتا أم لا، فليسندر يريد أن يعرف عنها! وهو لن يوافق على علاقة مع امرأة ترغب برجل آخر، ولا يهم مدى الاهتمام المتزايد الذي يشعر به نحوها.

دعاه الخادم إلى غرفة جلوس فخمة. شعر بدمه يغلي ما إن أصبح وجهاً لوجه مع طاكس مرة أخرى.

وقف الرجل المسن قرب الموقد الرخامي، وهو يدخن سيجاراً كوبياً كبيراً، ومرّت على ليسندر لحظة طويلة قاسية بينما راودته أفكار مزعجة عن رجل الأعمال البدين مع أنيتا. بفقدان صبر أبعد تلك الصورة المزعجة عن خياله، وقال على نحو مفاجئ: «من حسن الحظ أنك قادر على رؤيتي رغم تلك الملاحظة القصيرة التي تركتها».

تجاهل الابتسامة التي ظهرت على خدي طاكس المتورمتين، وعلى ملامحه المتجعدة.

- عزيزي ليسندر. إنه لشرف حقيقي تقدمه لي بأن تقطع إجازتك مرتين في أسبوع واحد لرؤيتي. كانت سعادتي غامرة عندما اتصل بي والدك وقال إنك قادم لرؤيتي، إنني فقط أشعر بالأسف لأن جميلتي إلكترا ليست هنا أيضاً لتلقاك، لكن ربما نستطيع أن نعوض عن ذلك قريباً. لدينا الكثير لتتحدث عنه، أليس كذلك؟

نعم! لكن ليس بشأن العمل، أو عن احتمال تودده إلى إلكترا. فكر ليسندر بضيق. إن من يرغب بالتحدث عنها هي امرأة مختلفة تماماً. مرّر أصابعه خلال شعره الأشقر، وتنهد باحثاً عن قليل من الصبر ليساعده على التحدث بتهذيب ولياقة ولو لفترة قصيرة.

- رأيتك البارحة في الجزيرة، طاكس. كنت تتناول القهوة مع صديقة مشتركة بيننا.

- أنيتا؟ إنها امرأة شابة ومليئة بالمرح.

وبحركة مفاجئة أطفأ السيجار في منفضة رخامية كبيرة وضعت على رف الموقد، وخيّل لليسندر أن بريقاً من الإثارة لمع في عيني الرجل الآخر.

- ما هو سبب اهتمامك بها، طاكس؟ يمكنك أن تكون صريحاً معي.

قطع الغرفة التي غطت أرضها سجادة سميكة، وسار نحو أريكة بيضاء اللون وجلس عليها، متعمداً أن تبقى ملامح وجهه هادئة. رفع طاكس كتفيه وقال: «ما سبب اهتمامي بها؟».

لمع خاتم زواجه بقوة في إصبعه المنتفخ. وشعر ليسندر بغضبه وانزعاجه يتزايدان، ما أضاف المزيد من القلق لديه بأن الرجل

العجوز كان يحاول إقناع أنيتا بإقامة علاقة غرامية معه.

- لقد فهمت السؤال، أليس كذلك؟

حلّ ليسندر عقدة ربطة عنقه، وحدق بطاكس من دون أن يرمش بعينيه.

- إنها مسألة خاصة بيني وبين المرأة الشابة التي تهتم لأمرها.

من الواضح أنه استاء مما سمعه... قطع طاكس الغرفة ليجلس على الأريكة المواجهة لليسندر، وجبهته تلتمع بالعرق.

- ما هي تلك المسألة الخاصة؟

كان غير قادر على إبقاء لجام طبعه تحت السيطرة كما كان يرغب، لم يستطع ليسندر إلاّ أن يرفع صوته: «ما أعرفه هو أنكما أنتما الاثنين التقيتما فقط الليلة السابقة في منزل والديّ، فما هي المسألة الخاصة بينكما، إلاّ إذا كنت تحاول التملق لها لتصبح عشيقتك؟».

- أنت تنسى أخلاقك الحسنة، ليسندر!

بدا طاكس كأنه أصيب بداء السكتة للحظة، وما لبث أن مسح جبينه بغضب، ودفع نفسه بقوة ليقف على قدميه مرة ثانية.

- لن يكون والدك سعيداً لسماعه أنك تتحدث معي بوقاحة، وفي منزلي.

وقف ليسندر أيضاً على قدميه، قامته المرتفعة بدون شك أعطته قدرة جسدية ونفسية أكثر من الرجل الآخر. قال بنبرة حازمة: «دع أبي بعيداً عن هذا الأمر! فالمشكلة بينك وبيني، وأنا أريد معرفة الحقيقة المتعلقة بهذا الوضع. كما أنني لن أغادر هذا المنزل حتى تخبرني».

- هذا منزلي، ليسندر روساكيس، لا يحق لك أن تدخل إليه

www.elromancia.com

وتطلب أي شيء.

من الواضح أنه غضب من تبدل الأحداث غير المتوقعة. لا شك أنه اعتقد أن ليسندر يزوره لسبب مختلف جداً.. ليتقرب من ابنته. حدق طاكس بغضب شديد بالشاب الواقف أمامه.

- من الأفضل لك أن تشرح سبب اهتمامك بهذه الفتاة الإنكليزية. تساءلتُ لماذا كنت جريئاً جداً لكي تحضرها معك في تلك الليلة. ويعتقد ليونيداس أنك فعلت ذلك كي تغضبه، لأن لدينا آمالاً أنا وهو أنك وإلكترا قد تجدان بعض الأمور المشتركة بينكما، وتتعرفان على بعضكما البعض أكثر. لكن أعلم الآن أن اهتمامك بأنيتا جدي بالفعل فأنت أخذت يوماً إضافياً آخر من عطلتك ببساطة لأنك رأيتها تشرب القهوة معي في الجزيرة.

لم يرد ليسندر فعلاً أن يشرح شعوره نحو أنيتا لأي كان. فهو بالكاد شرح ذلك لنفسه. خفف عقدة ربطة عنقه مرة أخرى، وعلى مضض استمر بالتحديق في عيني الرجل اللتين تحملان فضولاً لا شك فيه. قال بهدوء وبجدية:

- إنها أكثر من صديقة، بالنسبة لي.

هز طاكس رأسه وتنهد، وكأنه توصل إلى استنتاج خاص: «نعم، أرى أنها كذلك، ولهذا السبب أنت هنا في منزلي، تقوم باستجوابي غاضباً لتعلم لماذا كنت أقابلها؟».

أجاب ليسندر، وهو ينظر إليه بقلق، ومعداً نفسه ليسمع الأسوأ: «أريد أن أعرف الحقيقة!».

- لا يمكنني أن أنكر أن اهتمامك بهذه الفتاة مخيب للآمال، لا سيما أنني وأباك قد عززنا آمالاً أنك أنت وإلكترا قد... حسناً! من الواضح أن هذا لن يحدث الآن، أليس كذلك؟

تنهد طاكس وتابع: «ما سأخبرك به الآن، ليسندر، يجب أن يبقى سرياً بيننا. والدك يجب ألاّ يعلم أي شيء مما سأخبرك به. هل تعدني بأنك لن تخون ثقتي بك؟».

- أعدك.

سار طاكس عبر الغرفة نحو الباب، وتأكد أنه مغلق بإحكام. استدار وعاد إلى رف الموقد حيث أمسك بسيجار جديد قبل أن يبدأ بما يريد قوله. بدأ قلب ليسندر يضرب بقوة وملأ صدره إحساس غريب من الخوف.

* * *

أمضت أنيتا الليل بطوله وهي تفكر بليسندر، وبما أخبرها به طاكس. الآن، وهي تجلس في الباحة الخارجية الصغيرة الجميلة، تتناول فطورها، وتحرك العسل في اللبن اليوناني الكثيف وتتنشق رائحة الليمون القوية من شجرة الليمون التي تجلس تحتها، توصلت إلى قرار حول ما ستفعله.

قصة طاكس غير معقولة، وربما هي مجرد صدفة، على الرغم من أن الصدف الغريبة تحدث دائماً. لكن، على الرغم من قدرة تلك القصة على دفعها للقيام بمزيد من التحريات، فلقد قررت بالتحديد ماذا سيكون عملهاالقادم.

لا شيء. ستعمل على جعل الأمور تستقر تماماً!

شعرت بسلام غير متوقع في قلبها ما إن توصلت إلى هذا القرار. وحقيقة أنها تشعر بهذا يؤكد لها أنها حقاً توصلت إلى القرار المناسب بالمطلق.

لقد أتت إلى اليونان لتكتشف من تكون، ويا للغرابة! لقد فعلت ذلك حقاً. إنها أنيتا داين؛ الفتاة الوحيدة والمحبوبة لجوليا وموريس

www.elromancia.com

داين: فلِمَ عليها البحث عن حب عائلة مجهولة قد تكون مرتبطة بها من خلال الدم في حين أن لديها عائلة في وطنها تحبها حباً دون حدود؟ لدى طاكس كومانيديس ابنة يحبها كما هو واضح حتى العبادة. فما الذي سيجنيه إن اكتشف أن أنيتا هي نتيجة ذلك الزواج الرومنسي السري الذي عاشه أيام شبابه، ومنذ وقت بعيد؟ لن ينتج عن ذلك سوى إثارة المشاكل مع عائلته الحالية، ومع أن أنيتا لا تعلم أي شيء عنه، لكنها ليست بدون قلب لترغب في أن تسبب له الحزن والخيبة.

ما همّ إن كان، ولفترة قصيرة جداً، فكر أنها قد تكون ابنته، وأراد أن يكتشف الحقيقة. حقيقة البحث عن هذا الاحتمال قد يكلفه أكثر بكثير مما يعتقد، وليس من الناحية المادية، بل من الناحية العاطفية. فالرجل حتى الآن يعيش شعوراً بالندم في كل يوم لأن حب حياته قد اختفى، ولأنه لم يتمكن من رؤية المرأة التي أحبها ثانية، ولا بد أن هذا الألم يعيش معه ويعذب روحه.

لقد اتخذت قرارها! سكبت أنيتا بعض اللبن في فمها وتذوقته بشهية. لكن حتى وهي تبتلعه لم تستطع إلاّ أن تتذكر الطريقة اليائسة التي تودعت بها البارحة مع ليسندر. برودته بالتعامل معها لم تتبدل بمقدار ذرة بعد أن رفضت أن تخبره عما تحدثت به مع طاكس.

من السخف أن يصدق أنها تفكر في إقامة علاقة مع طاكس، حتى من دون أن يعلم الحقيقة عن علاقتهما! هل الرجل غبي لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى أن أنيتا تعشقه؟ حتى إنها مستعدة لتسامحه لأنه كذب عليها، مع أن ذلك يعني أنه لا يثق بها كما تريده أن يفعل. فهو لديه أسبابه، لقد أخبرها بذلك، وهي كانت منشوقة لسماع تلك الأسباب، وتبرئته من كل لوم.

الآن ها هي تتساءل إن كانت حتى ستحظى بفرصة للقيام بذلك. إنها لا تستطيع البوح بما أخبرها به طاكس، إلاّ إذا رق قلب ليسندر وتقبّل أنها لا تخفي أي شيء جرمي، فمن الصعب أن يتابعا علاقتهما ويستمرا بها.

فكرت بعدم الثقة... بالأكاذيب... ومع ذلك من الصعب إلى درجة لا تحتمل أن تقاوم الانجذاب القوي الذي تشعر به نحوه. حبها له يستغرق كل لحظات وعيها، وهي لا تشعر مطلقاً أنها مليئة بالحياة إلاّ عندما تكون بقربه. فهي تعلم أن ليسندر روساكيس قد بدّل حياتها بشكل أساسي. والآن، كيف يمكن لها أن تعود إلى بلادها وتقبل أن تعيش مع الخيار الصعب؟

* * *

- من فضلك. أنت لا تمانع إن قمتُ بجولة في المكان؟

نظرت حولها في الغرفة الواسعة التي تبدو تقريباً فارغة، إلاّ من الصور المعروضة. ابتسمت أنيتا بسهولة للرجل المهذب على المكتب الأمامي، فبادلها الرجل الابتسامة بابتسامة دافئة كبيرة ومرحبة.

- أهلاً وسهلاً، فأنت على الرحب. أنت في عطلة وقد قدمت من إنكلترا، أليس كذلك؟

سألها، راغباً في التحدث معها.

- نعم.

قلبت شفتيها ما إن تذكرت أنها قريباً ستعود إلى بلادها، وأدركت أن هناك أكثر من سبب مهم يجعلها تشعر بأنها ستفتقد لهذه الجزيرة الرائعة. في كل مكان ذهبت إليه، تعامل الناس معها بإيجابية وترحيب، فهم جميعاً يقدمون المساعدة ويتصرفون بشكل ودّي. لم

www.elromancia.com

تستطع إلاّ المقارنة بين انفتاحهم الكريم الواضح وبين ردة فعل الناس المتحفظة في بلادها.

قالت رداً على سؤال الرجل: «لكنني لا أريد التفكير بذلك الآن».

رفعت كتفيها وابتسمت، وعلمت أن الرجل فهم أنها لا تتطلع بفرح نحو وضع نهاية لعطلتها.

- إذاً من فضلك، أريدك أن تشعري بالحرية وأنت تتجولين في المعرض. ستبقى الصالة مفتوحة حتى الساعة العاشرة هذا المساء، وهكذا يمكنك أن تمضي النهار كله هنا إذا رغبت بذلك!

لم تكن لديه أية فكرة كم من السهل عليها أن تفعل ذلك. وجودها هنا بين صور ليسندر الرائعة والملفتة للانتباه بشكل آسر ربما سيعوّضها عن وجود الرجل نفسه.

لم ترَ أنيتا الرجل منذ أكثر من يومين حتى الآن، وبدأت تعتقد أنه لا يرغب برؤيتها ثانية.

شعرت بغصة قوية من الألم في قلبها... استدارت متجهة إلى الصورة التي استحوذت على انتباهها أكثر من كل الصور، الصورة التي شعرت بارتباط خاص بها منذ اللحظة التي رأتها فيها. إفيجينا! بدا كأن الوقت قد توقف وهي تتأمل الألم الذي يعلو الوجه الرائع للمرأة العجوز. سمعت أصواتاً في نهاية الغرفة لكنها لم تعرها أي اهتمام.

- ذهبت إلى الفندق، فقالوا لي إنك خرجتِ. لم تفاجئني رؤيتك هنا.

- ليسندر!

نظراتها العطشى ارتوت ما إن وقف بقربها. مع أنه يبدو رائعاً،

وهو يرتدي قميصاً بيضاء عادية وبنطلون جينز، لكن كان من الصعب عليها أن ترى أكثر من الجوهرتين المشعتين في عينيه الزرقاوين الرائعتين. سألها وقد ظهرت ابتسامة صغيرة على حدود شفتيه: «ما الذي كنت تفعلينه بنفسك؟».

أفكر بك، فقط أفكر بك! اشتاقت أن تعترف له بذلك، لكن نظرته عكست شيئاً من القلق، جعل أنيتا تتوقف عن البوح بعواطفها الحقيقية نحوه.

أدرك ليسندر بإحساس من الندم، أن البشرة الناعمة تحت عينيها السوداوين بدت داكنة. ولو أن آري ليس جالساً على مقعده في مكتب الاستقبال، ولو أنهما بمفردهما، لما تردد أن يضمها بين ذراعيه. لكن من الأفضل أن يكون صديقه مالك صالة العرض موجوداً، لأن عليه الآن أن يتعامل بشكل مختلف تماماً مع ما يتعلق بأنيتا.

باح له طاكس بقصة مذهلة، ويستطيع القول إنها لا تصدق. وإن كان ما يفكر به صحيحاً، فأنيتا هي ابنة صديق والده الضائعة منذ زمن بعيد. لا بد أن هذا الأمر يحتل معظم أفكارها ما يبعد عنها كل فكرة أخرى، وهذا يشمله هو أيضاً بدون شك. فكر باستياء أنها بالكاد تستطيع التفكير بعلاقتهما الجديدة في حين أن حياتها كلها قد تنقلب رأساً على عقب بسبب ما صرح به طاكس.

هذا هو السبب الذي دعاه لتركها بمفردها ليومين طويلين. لقد عمل على إبعادها عن منزله بعد أن رفضت أن تخبره عن سبب لقائها بطاكس. مجرد التفكير بذلك جعل أحشاءه تنقبض، وكأنه تناول مواد سامة.

رفعت عينيها الحذرتين إليه وقالت: «لم أكن أفعل أي شيء، في

الواقع. فقط أنظر إلى المناظر الطبيعية وأقوم بالكثير من التأمل والتفكير».

- هل تحبين أن تذهبي إلى مكان ما لتناول القهوة؟

سألها، وهو ينظر من فوق كتفه إلى آري الذي يراقبهما. قفز قلب أنيتا لغصن السلام الذي يقدمه لها. على الأقل لم يكن يقول لها ببرودة إنه لا يريد رؤيتها ثانية. هل لديه أفكار جديدة سيستعملها للضغط عليها لتخبره لماذا التقت بطاكس؟

- إن كنت لا تمانع بأن أعود إلى صالة العرض بعد ذلك، فأنا أحب القيام بذلك. لأنني أرغب في النظر إلى اللوحات مجدداً في صالة العرض هذه.

تذكر ليسندر كيف التقيا للمرة الأولى، تذكر فرحه عندما اكتشف فيها أيضاً روحاً لطيفة. رفع كتفيه موافقاً، ثم قال وهو يرافقها باتجاه الباب: «لا أمانع مطلقاً».

ما إن توقف أمام المكتب الأمامي حتى مدّ آري يده وأمسك بيد ليسندر بقوة، وتحدث إليه باللغة اليونانية ليخبره أن الفتاة الإنكليزية جميلة جداً، وأنه رجل محظوظ برفقتها. بالكاد ابتسم ليسندر للإطراء من دون أن يتفوه بأية كلمة، وتبع أنيتا خارجاً إلى ضوء الشمس القوي.

١٠ - جراح الماضي

- عندما التقينا في المرة الأولى، قلتِ لي إنك تفكرين كثيراً بهذه الحياة.

انحنى إلى الأمام، وقد وضع يديه بارتياح على الطاولة التي تعلوها مظلة كبيرة خضراء اللون، ابتسم ليسندر قليلاً وهو يتكلم. كانت أنيتا تعاني من المشاكل عندما أتت إلى الجزيرة، والآن ها هو يتمنى لو أنه أصر على السؤال ليعرف ماهية تلك المشاكل.

رأى وجهها يتجهم، وانتظر ليرى ما ستكون عليه ردة فعلها على تعليقه العادي المبطن. كانت يداها ملتفتين في حضنها فوق فستانها القطني الأبيض البسيط، وبدت كئيبة بشكل واضح.

سألته بحزم، وعن قصد: «هل تسألني عن سبب ذلك، ليسندر؟»

بدا أن هناك توتراً حقيقياً وملموساً بينهما، وليسندر يشعر بندم كبير بهذا الشأن. فبعد فراقهما الأخير، بدت أنيتا يائسة من قسوة قلبه الواضحة، ومن الواضح أنها تشعر بالحذر والقلق من ناحيته.

أجاب: «نعم، فربما يساعدني ذلك كي أفهم».

- تفهم... ماذا؟

- لماذا أتيت حقاً إلى هنا؟ ولماذا اخترت هذه الجزيرة، أنيتا؟

بدأ يتساءل إن كان لديها دليل خفي تتبعه. وإن كانت تعلم أنها ليست إنكليزية كما أفهمت، وأن هناك سبباً آخر يجعلها تبدو يونانية

الملامح، هل كاد طاكس يقتنع أنها هي ابنة حبه الضائع، أم أنها فتاة أخرى تدعى أنيتا؟

- إن أخبرتك فهل ستتمكن من نسيان الانزعاج الكبير الذي مر في اليومين الماضيين بشكل مطلق؟ هل سيبقى ما بيننا فارغاً لا قيمة له حتى لو لم أخبرك لماذا أراد طاكس كومانيديس مقابلتي؟

إحساس بالألم والضيق ظهر على وجهها، فسحب ليسندر يديه عن الطاولة وجلس مستقيماً على كرسيه. علاقته بأنيتا لم تكن للحظة بدون فائدة أو قيمة، بل هي بعيدة جداً عن تلك الصفات. تقربه منها أيقظ لديه عواطف أكثر عمقاً مما كان يحلم يوماً، تماماً كما أعطته رفقتها سعادة لا توصف.

- ما كان عليَّ أن أضغط عليك بشأن ذلك، لكن ماذا كان من المفترض أن أستنتج عندما رأيتكما معاً ذلك الصباح؟ ضعي نفسك مكاني، أنيتا.

- إنه لأمر محزن جداً أن تفتقد إلى الثقة بالآخرين. ربما توصلت إلى الاستنتاج الخاطئ نفسه لو كنت مكانك، لكنني أفضل أن أفكر بأنني كنت سأصدق كلام حبيبي. أخبرتك أن لقائي مع طاكس ليس موجهاً ضدك أو ضد علاقتنا.

ذكرها لفقدانه الثقة أصابه في الصميم، فتحركت زاوية فمه الجميل بغضب. هزّ رأسه ببطء، وبدأ يفسر لها: «ذهبت لرؤية طاكس...».

بدت على وجهها الصدمة، وقالت: «أحقاً فعلت ذلك؟».

- أقنعته أن يخبرني لماذا التقيتما. بدا متردداً في الواقع، والقصة التي أخبرني بها فاجأتني كثيراً، لماذا يظن أنك قد تكونين ابنته، أنيتا؟ أهذا هو السبب الذي دفعك للقدوم إلى هنا؟

رأها تبتلع غصة بصعوبة، وللحظة اعتقد أنها لن تخبره بما يريد معرفته. لكن أصابعها تحركت وكأنها تحاول أن تحمي حلقها وهي تتنفس بعمق.

- توفيت أفضل صديقة لدي قبل وقت قليل من قراري بالقدوم إلى هنا. كانت بولي تعاني من سرطان في الثدي، لكنها مرت في حالة سكون المرض لمدة ستة أشهر وأنا اعتقدت أنها تتحسن، وأنها ستصبح بصحة جيدة مرة ثانية، وأن المرض لن يعاودها ثانية.

أخذت لحظة لتستجمع شتات نفسها، وشعر ليسندر أن قلبه ينقبض على خسارتها العميقة قبل أن تتابع: «لم تخبرني عائلتها أن المرض عاودها، وأنها أصبحت بحالة أسوأ. لم تشأ بولي أن يخبروني بذلك. أنا لا أعرف السبب، لكن يبدو أنهم يعتقدون أنني لا أستطيع التعامل مع الحقيقة، كانوا يريدون حمايتي من الألم. لكنني أعتقد أن ذلك كان سخيفاً، تحت تلك الظروف. لم يخبروني عن مدى سوء حالتها، وهكذا لم أحظَ بفرصة كي أودعها».

مسحت بأصابعها دمعة تحت عينيها، وابتسمت، لكنها بدت منزعجة جداً. لم يعلم ليسندر كيف يخفف عنها، وبدلاً من ذلك تركها تكمل عندما أصبحت مستعدة.

- السبب الثاني الذي دعاني للقدوم إلى اليونان، والذي هو سبب مهم وكبير أيضاً، هو أنني اكتشفت أنني فتاة متبناة بعد وفاة صديقتي. يمكنك أن تتخيل مدى اضطرابي من تلك الصدمة. هذه هي الأسباب التي دعتني للقدوم إلى هنا. لم يكن هناك دافع خفي، أو خطة كبيرة للقدوم إلى هذا المكان الخاص. في الواقع، اخترت هذه الجزيرة بطريقة عشوائية من خريطة لليونان. وإن كنت في حالة من التساؤل، فليس هناك أي دليل يدعم فكرة أنني قد أكون ابنة

طاكس كومانيديس. فقط لأنني أبدو كالمرأة التي أحبها والتي كان اسمها أنيتا أيضاً، لا يعني أنني ابنته.

قال ليسندر مشجعاً بهدوء: «أخبريني المزيد عن اكتشافك أنك فتاة متبناة».

لوت شفتيها وهي تشعر بعذاب وألم، ثم قالت: «ماذا هناك لأقوله؟ كنت مدمرة. أنا تقريباً في الثلاثين من عمري، وطوال هذا الوقت كنت أعيش بمفهوم كاذب وهو أنني الطفلة الطبيعية لوالدي. والآن أعلم أنني تُركت مهجورة في سلة للغسيل في المستشفى مع ملاحظة تقول إن اسمي أنيتا، والاسم كان مكتوباً باللغة اليونانية. أعتقد أنني أتيت إلى هنا باحثة عن شيء من الانتماء... عن مكان أستطيع أن أنتسب إليه بطريقة طبيعية أكثر، فأنا لم أعد أشعر بالارتياح في المكان الذي أتيت منه. لم تكن لدي أي فكرة أبداً أن الظروف ستجمعني مع طاكس. عندما أتى لرؤيتي وأخبرني قصته، كانت تلك مفاجأة مذهلة. وعندما طلب مني ألاّ أكرر ما قاله لأحد، بالطبع وافقت. ففي كل الأحوال، ما قاله هو مجرد افتراضات وأقاويل. لماذا سيخاطر رجل مثله بالتحدث عن أمر حزين مر عليه زمن طويل، لا يشعر بالفخر مطلقاً بسببه، فيترك نفسه عرضة لفضيحة، لا سيّما أنه ليس هناك أي برهان ليدعم أقواله؟ لهذا السبب لم أخبرك عما كنا نتحدث، ليسندر. لقد أعطيته وعداً بذلك».

وقعت الفكرة كالقذيفة على مسامع ليسندر؛ أيحتمل أن تكون أنيتا، حبيبته، ابنة صديق والده؟ ولسخرية القدر، أن ذلك الصديق نفسه تمنى أن يُظهر ليسندر اهتماماً جاداً بابنته المغرورة!

- إذاً، لنقل إن ذلك مجرد افتراضات وأقاويل، كما تقولين.

لكنني أفترض أنك ستقومين ببعض التحريات حول احتمال وجود رابط بينك وبين طاكس. أليس كذلك؟

قال ذلك معلقاً، وقد عقد حاجبيه مفكراً. لكن ما أدهشه هو أن أنيتا هزت رأسها رافضة، وقالت: «لن أفعل أي شيء من هذا القبيل. وإن كان ذلك الأمر صحيحاً أم لا، فأنا لدي والدين يحبانني، وقد فعلا كل ما يقدران عليه كي يسعداني، مع أنهما أساءا التصرف بشأن إخباري الحقيقة عن موضوع التبني. أدركت الآن أنني أستطيع الانسجام في حياتي أكثر بكثير مما كنت أعتقد. ولا أريد أن أدعي أن أي شخص آخر هو والدي ليملأ حاجة الانتماء لدي. فلدي أهلي، وأنا أنتمي إليهم».

- هل تدركين الفرصة التي تتخلين عنها، أنيتا؟

شعر بارتباك وحيرة من عدم اهتمامها للاحتمالات المذهلة التي ستصيبها إن تبين أنها ابنة طاكس كومانيديس. تابع: «طاكس كومانيديس رجل ثري جداً، وثروته الشخصية ضخمة. لا أظنك تخططين لإدارة ظهرك إلى ذلك الغنى وكأنه غير موجود».

شعرت أنيتا برجفة من الألم تتموج في داخلها بسبب ذكر المال، إذ بدا لها بوضوح أن ليسندر يهتم له كثيراً، تماماً كما هي أسرته وأصدقاؤها أمثال طاكس وابنته. جعلها ذلك تدرك أن علاقتهما لن تصل إلى أي مكان بعد أن تغادر الجزيرة. أصحاب الملايين في هذا العالم ليسَ لديهم علاقات طويلة الأمد مع النساء مثل أنيتا. بالطبع، لا! ليسندر يفضل في النهاية أن يتزوج فتاة مثل إلكترا كومانيديس، فتاة يونانية غنية.

أمسكت كوب الماء ورشفت رشفة كبيرة لتخفف من جفاف حلقها، ثم قالت: «أنا محظوظة لأنني نشأت في كنف أسرة أمنت

لي وسائل الراحة في الحياة، لكنني لم أؤمن مطلقاً أن المال هو كل شيء. ومن المؤكد أنني لا أراه شرطاً أساسياً لتأمين السعادة. لذلك لا أشعر أنني أتخلى عن فرصة رائعة بعدم ملاحقة احتمال وجود رابط دموي مع شخص مثل طاكس كومانيديس».

قال ليسندر بجدية: «إذا أردت رأيي، فأنت بدون أي شك امرأة لم أعرف لها مثيلاً مطلقاً».

لاحظ كيف رفعت أنيتا رأسها بكبرياء وهي تقول رأيها، وفكر أية إنسانة مميزة هي! جعله هذا يتذكر أنها قالت له مرة إنها منجذبة إليه بسبب شخصيته وليس من أجل حسابه في المصرف. أحسّ برغبة في أن يضمها بين ذراعيه في تلك اللحظة وأن يسألها إن كانت تقبل الزواج منه، لأنها وبدون أي شك امرأة نادرة.

وبسرعة قصوى كتسارع أفكاره، أدرك ليسندر أنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الخطوة المتسرعة. فهو ليس مستعداً بعد... ليس وهو لا يزال يشعر باستياء كبير من والده لأنه عرّفه إلى امرأة ماكرة مثل مريانا. زواجه ولّد لديه عقدة مروعة تجاه النساء. وقد برهن لأكثر من مرة أنه غير قادر على الثقة بأنيتا... وانظر ما الذي جعلها تمر به بسبب ذلك!

لكنه لا يستطيع التخلي نهائياً عن الأمل بأنه ربما يعيش تجربة أعمق مع أنيتا، فقد تذكر اهتمامه بها وعناقهما العاصف في المرة الأخيرة، حيث انقاد بجنون نحوها على الرغم من غضبه منها...

- هناك أمر آخر نحتاج إلى التحدث عنه. أعتقد أنك لاحظت ما يخطط له والدي مع طاكس بشأني أنا وإلكترا... من جهة أخرى أنا أود الزواج من امرأة أحبها بمنأى عن عائلتي.

يا إلهي! هل يتحدث عن زواج سري بها؟ رأى بوضوح كيف

تورد خداها وهي تسمع كلامه. بدأت تلمس بإصبعها المربعات الخضراء الصغيرة على غطاء الطاولة مراراً وتكراراً.

- إن تدخل أسرتي في مسألة زواجي قد ينتج عواقب وخيمة، وعندها أنا...

- ماذا؟ أتقول إنك قد تتزوجني سراً، وإذا حملت منك ستفعل كما فعل طاكس؟

- إن حدث ذلك، فأنا سوف...

- سوف ماذا، ليسندر؟

كانت عيناها مشرقتين ورطبتين ما إن رفعت رأسها لتحدق به وهي تتهمه، تابعت: «سترسلني عائدة إلى إنكلترا لأقوم بعملية إجهاض؟ تماماً كما حدث مع أمي حين أرسلت للقيام بذلك، ولم يسمع عنها أي شيء ثانية؟».

كان يريد أن يقول لها إنه سيقف بجانبها مهما كان الأمر، وأياً كان قرارها في ما يتعلق بالطفل. حتى لو كان هذا القرار صعباً عليه من الناحية العاطفية والنفسية. لقد فقد طفلاً فعلاً، وهو بالكاد يستطيع التفكير بفقدان طفل آخر.

- لن أفعل شيئاً كهذا مطلقاً!

بدت دلائل الصدمة بوضوح على وجهه الوسيم، وكادت أنيتا تندم على ثورتها العاطفية القاسية. لكن العاطفة المسيطرة عليها من الوضع الذي تعيشه والضغط المتصاعد التي تعرضت له في الأشهر القليلة الماضية قد أخذا مداهما. فجأة، لم تعد تستطع إيقاف الخطبة المسهبة العنيفة التي تسارعت بالخروج من شفتيها.

- لماذا عليّ أن أصدقك، ليسندر؟ أجبني! لقد كذبت عليّ مرة، فلماذا لا تفعل ذلك ثانية؟ أنت نشأت في العالم السطحي البارد

www.elromancia.com

والعديم الشفقة نفسه مثل طاكس كومانيديس، أليس كذلك؟ والنساء بدون شك هنَّ سلعة مستهلكة بالنسبة للرجال أمثالك! أنت تضع طموحك قبل الحب في كل مرة! ومن المحتمل أنك منشغل جداً بزيادة أموالك لتفكر بشيء تافه كإيذاء شعور أحد ما!

دفعت نفسها بقوة لتقف على قدميها وقد ملأت الدموع الحارة المؤلمة عينيها، وتابعت: «حسناً! ومن أجل إراحة بالك وبشكل كبير، ليس عليك أن تقلق بشأن موضوع مزعج لا قيمة له مثل الارتباط بي، لأنني لن أرضى بأية ترتيبات سرية تحط من شأني».

ما إن استدارت لتسير مبتعدة، نهض ليسندر واقفاً ووضع يده على كتفها محاولاً أن يوقفها.

أدرك فجأة أنه يرغب في منعها من الهرب. رمته أنيتا بنظرة مليئة بالازدراء وهي تبتعد والدموع تملأ عينيها: «لا تلمسني! ولا تكذب عليَّ مطلقاً ثانية! لقد سئمت من الناس الذين يكذبون عليّ طوال الوقت. سئمت من ذلك! هل تسمعني؟».

سمعها جيداً. ولأول مرة أدرك أن عدم بوحه بشخصيته الحقيقية وبمقدار غنى جذوره الاجتماعية زاد من إيمانها أن الناس حولها لا يخبرونها الحقيقة أبداً. لأنه هو نفسه غير قادر على الإيمان بأن النساء يحببنه لنفسه، اقترف غلطة كبرى بعدم إخبار أنيتا من يكون. والآن هي لا تصدق إلاَّ أنه مجرد كاذب.

ترك يده تسقط بجانبه، وتحركت عضلات وجهه بتوتر ما إن انسكب الندم وخيبة الأمل بقوة في قلبه.

- لِمَ لا تجلسين، وعندها يمكننا التكلم؟

قال مقترحاً، وهو يعلم أن كلامه عديم الفائدة: «أنت تقفزين إلى النتائج، التي هي ببساطة غير صحيحة».

- اذهب إلى الجحيم!

رمته بتلك الكلمات بقوة، مؤكدة ما يفكر فيه، فلم يستطع أن يفعل شيئاً إلاَّ مراقبتها وهي تذهب بعيداً غاضبة. شعر بالغضب يتجدد في داخله نحو والده لأنه زرع في نفسه بذوراً من عدم الثقة والكبرياء الفارغة، ما منعه من أن يكون صادقاً مع أية امرأة. وهل هذا هو السبب الذي منعه حتى من أن يقول لها إنه آسف لأنه سبب الأذى لها؟

* * *

وجد ليسندر والديه يستمتعان بتناول شراب على الشرفة مع مجموعة صغيرة من الأصدقاء المقربين عندما شق طريقه إلى هناك لينضم إليهم. أظهرت غالاتيا، أمه، سعادتها على الفور ما إن رأته، وأسرعت لتعانقه وتضمه إليها بعاطفتها الجياشة، ومن دون تحفظ كالعادة.

مع أن ليسندر بدا سعيداً بذلك اللقاء العاطفي، غير أنه لم يضيع أي وقت بذكر سبب زيارته غير المتوقعة. نظر بسرعة خاطفة نحو والده، الذي كان منغمساً في نقاش مع رجل لم يتعرف عليه. ولمس ذراع أمه بخفة وقال: «أنا آسف، لكن زيارتي هذه ليست زيارة اجتماعية. فأنا بحاجة للتكلم مع ليونيداس».

علمت أن استعمال ابنها الوسيم لاسم والده الرسمي يدل على وجود عدم توافق أو غضب يتجمع بينهما. تجهم وجه غالاتيا، وأبعدت خصلة من الشعر عن جبهة ليسندر، تماماً كما كانت تفعل عندما كان طفلاً.

- عزيزي، إنه يتحدث بشأن عمل مهم مع السفير اليوناني في إيران. بالطبع، بما أنك رئيس شركة روساكيس للنقل البحري،

www.elromancia.com

سيرغب في أن تلقاه أنت أيضاً. لِمَ لا تجلس معنا وتأخذ شراباً ما؟ يمكنك التحدث مع والدك بمفردكما عندما يغادر الجميع.

- ما أريد قوله لا يستطيع الانتظار.

لم يكن قادراً على إخفاء التوتر الذي يسيطر على كل عضلة في جسمه. تجاهل ليسندر استعطاف غالاتيا كي ينتظر حتى مغادرة الضيوف، وسار مباشرة نحو والده. باختصار هز رأسه محيياً الرجل المميز الذي كان برفقته، فليسندر لا يريد إضاعة الوقت بالمراوغة.

- أريد التحدث معك.

رأى توهجاً خفيفاً من الانزعاج على بشرة والده السمراء.

- ليسندر! هل ما تريد قوله مُلح وأساسي إلى درجة جعلتك تنسى السلوك الحسن؟ أنت ترى بنفسك أنني أتكلم مع ضيفي. في الواقع، دعني أعرفكما على بعضكما البعض.

لكن قبل أن يتمكن ليونيديس من إجراء عملية التعارف، هز ليسندر رأسه معبراً عن نفسه بشكل مؤكد قائلاً بحدة: «إذا كنت لا تريدني أن أحرجك أكثر أمام ضيفك المميز، فأنا أقترح عليك أن تحدثني على انفراد الآن».

* * *

بدا مكتب ليونيداس، بمفروشاته الفخمة وجدرانه الداكنة المصنوعة من خشب الكرز، كئيباً وغير مرحب بالضيوف، ما إن دخله ليسندر وهو يتبع والده الذي ظهر التوتر والتصلب على كتفيه العريضتين.

ساوره ذلك الاحساس المألوف بالغضب الذي راح يتدفق في داخله، فقال: «هناك بعض الأشياء التي يجب أن تعرفها».

- أية أشياء؟

هز ليونيداس رأسه الكبير، وهو غاضب ومتجهم الوجه، وتابع قائلاً: «مؤخراً، أصبحت مشاكساً ولا يمكن توقع أفعالك. أنا لا أفهم ما الذي يحدث لك، بني. هل لهذا علاقة بتلك السيدة الشابة؟ كيف جرت الأمور معك عندما ذهبت لرؤية طاكس ذلك اليوم؟ أفترض أن حديثكما لم يتعلق بالعمل وحده؟ هل كانت إلكترا الجميلة هناك؟».

ذكر والده لإلكترا كومانيديس بعدم اهتمام لمشاعره، أوصل ليسندر إلى أقصى حدود الغضب.

- لم أذهب لرؤية صديقك طاكس لأنني مهتم بابنته. تباً لما يحدث! سأقولها لمرة واحدة وإلى الأبد: لقد سئمت وتعبت من تدخلك في حياتي. ألم تكتفِ برؤيتي متزوجاً من امرأة ماكرة مخادعة جعلت من حياتي جحيماً؟ حسناً! أعترف أنني كنت مخطئاً حين سمحت لغروري أن يزهو بسبب اهتمامها بي. تأثرت بجمالها وسحرها ودهائها الذي تمارسه بمهارة، وأفضل من أية ممثلة. قمت باختيار سيئ، وأنا أتقبل اللوم. لكنك كنت تعرف شخصيتها الحقيقية! وكنت تعرف عائلتها جيداً، وتدرك تماماً أنها غير قادرة على أن تكون مخلصة أو شريفة. ومع ذلك، ولأنك تبحث عن الشهرة والمجد لتتوحد مع الطبقة الأرستقراطية، ولأن سلالة عائلتها ذات تاريخ عريق، دفعتها في طريقي مراراً وتكراراً! والآن ها أنت تحاول أن تفعل ذلك ثانية مع ابنة طاكس!

لم يكن باستطاعته أن يقف بهدوء. وضع ليسندر يديه في جيبي بنطلونه وراح يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً كأنه أسد غاضب في قفصه.

بقي ليونيداس صامتاً للحظات طويلة، ثم مرر أصابعه في شعره الفضي الكثيف بانزعاج. كان يراقب ابنه بعينين مليئتين بالحزن

www.elromancia.com

والأسى. قال: «لم أقصد أن أسبب لك هذا الألم كله، ليسندر. عندما تعرفت مريانا إليك، وبدأت تحبك، كما أكدت لي، ظننت أن هذا سيساعدها لتكون أكثر اتزاناً، وهذا ما فكر به والدها أيضاً، إذ قال لي: «إن كان هناك من يستطيع تغييرها، فلا بد أنه ليسندر» أعرف أنني تركت طموحي يسيطر على المنطق والعقل لدي. أمك تقول لي ذلك مراراً».

- وهي محقة بقولها.

وقف ليسندر في وسط الغرفة هادئاً، وبدا التوتر العاطفي على فمه المطبق وعينيه الواسعتين. تنهد بصوت مسموع، فهو بصراحة منذهل لأن والده أخيراً يعتذر عما حدث سابقاً، ويعترف عن دوره فيه، لكنه لا يزال قلقاً من أهدافه المستقبلية. تابع قائلاً: «لا تتدخل ثانية في حياتي الخاصة أو العملية. هل يمكنك أن تعدني بذلك؟».

هز ليونيداس رأسه ببطء.

- ويمكنك أن تنسى.. وبشكل نهائي، قيام أية علاقة محتملة بيني وبين إلكترا كومانيديس. هل هذا واضح؟ فأنا قادر تماماً على اختيار صديقاتي، من دون أية مساعدة منك. وعندما أتزوج ثانية...

لمع بريق من الأمل في عيني ليونيداس لدى سماعه كلمة زواج.

تابع ليسندر، وقلبه يدق بسرعة بسبب ما يقوله: «وعندما أتزوج ثانية، سيحدث ذلك مع امرأة من اختياري الخاص، امرأة أحبها، وليس لأي سبب استراتيجي أو منفعة خاصة. هل تفهمني؟»

- كيف يمكنني أن أصلح الأمور بيننا ثانية؟

سار ليونيداس نحو ابنه، ومدّ يديه بحركة معبرة عن إيمانه وهو يتابع: «أعلم أن شركة روساكيس للنقل البحري غدت أكثر نجاحاً بين يديك، فمهارتك وحسك العملي ضاعفا أرباحنا في السنوات

الخمس الأخيرة. أنت رجل متعدد المواهب، بني. أعتقد أنه يجب عليّ التقاعد وأنا أشعر بالامتنان، وأن أتركك لتقوم بأعمالك كما تشاء. هل هذا يسعدك؟».

بدا واضحاً أنه يقدم له غصن سلام، ما جعل ليسندر يلين موقفه مجيباً: «بالطبع!».

- إذاً، دعنا نتصافح.

احتاج الأمر لعدة ثوان قبل أن يتمكن ليسندر من الموافقة على تلقي المبادرة. فقد طال استياؤه من والده، وهو بحاجة إلى بعض الوقت ليتخلص نهائياً من آلام الماضي. لكن بعد أن تصافحا سار ليسندر نحو باب المكتب، ووقف هناك وقد ظهرت ابتسامة فعلية على فمه.

- أتمنى أن تشعر بالسلام، أبي. سأراك عما قريب.

بعدئذٍ غادر بسرعة، ولم يتمكن من رؤية الارتجاف الواضح لكتفي ليونيداس العريضتين من شدة تأثره.

١١ - لا ترحلي!

- والآن بماذا تنصحينني، بولي؟

سألت أنيتا ذلك بصوت عالٍ وهي ترمي بقنوط بعض الثياب في الحقيبة المفتوحة على السرير. تابعت: «أشعر كأنني قطعت جسوري في كل الاتجاهات. آه! أعلم أن أمي وأبي سيغفران لي... لكن ليسندر!».

انزلقت يدها على قميص الكتان الأبيض التي نزعتها عن حمالة الثياب من الخزانة، فضمتها إلى صدرها، وأغمضت عينيها وهي تشعر بمرارة كبيرة. كيف له أن يسامحها؟ لقد رأت الألم والندم على وجهه واضحين كوضوح النهار عندما قامت بتوبيخه بكلامها المسهب الخالي من أية عاطفة، لكن لم تكن هناك رقة أو رحمة في داخلها له في ذلك اليوم. لقد سمحت لنفسها أن تفكر بالأسوأ به. عندما تخيلت ما ستكون ردة فعله لو أنها أصبحت حاملاً بطفله بعد أن يتزوجها سراً. والآن، بعد مرور أربع وعشرين ساعة من دون أن تسمع أية كلمة منه، ها هي مغادرة من دون أن تلقي عليه كلمة الوداع. متعمدة الهروب لأنها لا تستطيع مواجهة أن تصاب بالأذى مرة ثانية.

ألهذا السبب يخفي الناس الذين يحبونها الحقيقة عنها؟ ألأنهم يعلمون في أعماق أنفسهم أنها جبانة؟

ما الذي حدث للقسم الذي أقسمته عندما وصلت إلى هنا؟ عندما

عاهدت نفسها أنها ستكتشف روحاً مغامرة في داخلها، حتى لو كلفها ذلك حياتها؟ حسناً! لقد كانت مغامرة بما فيه الكفاية لتقع بقوة في حب رجل غريب جذاب لا يقاوم. فإلى أين أوصلها ذلك؟ الآن، بات لديها جرح جديد في قلبها عليها أن تتحمل ألمه، وهذا الجرح سيؤلمها حتى آخر حياتها.

لا داعي للبقاء هنا كأية حمقاء يائسة ومغرمة، متمنية أن يرغب ليسندر في رأب الصدع بينهما، ويسعى لإقامة علاقة طويلة الأمد معها. صدع نشأ لأنها افترضت بشكل حاسم أنه متحجر القلب عديم الأخلاق.

حكمت أنيتا على ليسندر من خلال تصرفات رجل آخر مختلف كلياً عنه، وقام بما قام به منذ زمن بعيد جداً، فوجدت أنه مذنب. تخيلت نفسها تعيش الإحساس بالهجران والحزن اللذين عاشتها أمها، عندما أرسلت إلى إنكلترا لتقوم بعملية الإجهاض، وأقنعت نفسها أن ليسندر سيتصرف بذات الطريقة العديمة الرحمة التي قام بها والدها... أياً كان ذلك الوالد.

قالت لنفسها وهي تتابع حزم حقيبتها إنه بدون شك سيكون سعيداً لابتعادها، سواء رحلت أو بقيت هنا. يكفيه أن عطلة رومانسية بسيطة تحولت بالنسبة إليه إلى مشاحنة كان من الأفضل له ألاّ يمرّ بها. حسناً! أقل ما تستطيع فعله في ظل هذه الظروف هو أن تغادر بكرامة ومن دون أن تتشاجر معه مرة أخرى. مع أن مجرد التفكير بعدم رؤيته ثانية يجعلها تشعر أنه حُكم عليها بالعيش وحيدة طوال حياتها... كيف ستتمكن من ترك جزء من روحها هنا، فترحل وهي تعلم أنها لن تقابله ثانية؟

* * *

كانت الحرارة في ذلك الصباح في الجزيرة اليونانية ذات المناظر الخلابة مرتفعة بشكل كبير. وقفت أنيتا في الصف وهي تحمل حقيبتها الكبيرة، لتستقل القارب الذي وصل للتو إلى المرفأ. سينقلها هذا القارب إلى المرفأ الكبير حيث ستذهب إلى مطار أثينا من هناك بواسطة الباص. للحظة، نزعت قبعة القش البيضاء التي تعتمرها، لتمسح راحة يدها بتعب على جبهتها المليئة بحبات العرق. كانت تتصبب عرقاً بسبب الحرارة الشديدة. وفي الواقع، بما أنها لم تتمكن من النوم إلاّ لفترة قصيرة جداً ليلة البارحة، فهي تشعر أنها على وشك الإغماء.

لم تلاحظ الرجل الذي يرتدي قميصاً قصير الأكمام وبنطلون جينز، ويسير مندفعاً عبر الحشد المتجمع بانتظار الصعود إلى القارب. لاحظت أنيتا فقط نقاطاً سوداء تتحرك بسرعة أمام عينيها، وما هي إلاّ لحظة أو أكثر حتى انزلقت نحو الأرض وقد أغمي عليها. لم ينقذها من كارثة ارتطام رأسها بالإسفلت الحار سوى يدان قويتان أمسكتا بها، وضمتاها بحنان وحماية إلى صدر دافئ قوي.

* * *

- أنيتا!

لفظ اسمها بطريقة سريعة في البداية، تبع ذلك صراخ بالسرعة نفسها باللغة اليونانية. بالكاد شعرت أنيتا بشعاع الشمس القوي يخترق جفنيها، حين سمعت صوتاً تعرفت عليه بفرح كبير، وهو يصرخ بالناس حولهما طلباً للمساعدة.

- هل يملك أحد منكم ماء؟

قدم له أحدهم قنينة صغيرة من البلاستيك. رفعها ليسندر عن الأرض بين ذراعيه، وحملها عبر الطريق إلى مقهى مجاور. أسرع

رجل يوناني عجوز بإبعاد كرسي، وراقبه باهتمام وهو يجلسها بعناية. ما إن حاولت أنيتا أن ترفع يدها إلى رأسها، حتى وضع ليسندر زجاجة الماء على شفتيها، وأمرها بحزم بأن تشرب.

إحساسها بالمياه الباردة تنزلق في حلقها بدا مشابهاً لتأثير قطعة ثلج على جبين يعاني من حرارة. وهذا ما ساعدها لتستعيد قوتها. ما إن بدأت الأمور تتوضح في رأسها، حتى ركزت بقوة على عيني ليسندر الملونتين وهو منحنٍ أمامها. بدت ملامح وجهه قلقة، حتى إنها لم تستطع أن تكبح موجة الألم التي تدفقت في قلبها.

- ما الذي تفعله هنا؟

لم يجب عن سؤالها، وبدلاً من ذلك نظر إليها بتمعن ومهابة، كأنه لا يثق أنها ستبقى بوعيها من دون مساعدته.

- كيف تشعرين الآن؟

سألها، وهو يمرر يديه على ذراعيها العاريتين، وتابع: «وماذا تعتقدين أنك تفعلين، وأنت واقفة هناك تحت هذه الحرارة القوية؟».

- كنت... كنت بانتظار القارب.

عضت أنيتا على شفتها؛ بالكاد تصرفاتها توحي بأي منطق حتى بالنسبة لها. في تلك اللحظة، كل ما تعرفه، وأكثر من أي شيء آخر، هو أنها تحب الرجل بقوة هائلة تسيطر على كيانها، وتشعر بانجذاب نحوه يجعل دمها يندفع بسرعة في عروقها.

- لماذا؟ هل كنت تريدين الرحيل إلى وطنك إنكلترا حتى بدون أن تقولي لي وداعاً؟

دفع نفسه بفقدان صبر ووقف على قدميه، مسبباً لها جزعاً لا نهاية له. لكن بعد ذلك، سحب كرسياً من وراء طاولة مجاورة، ووضعه في مكان مواجه لها. تنهد، ومدّ يديه ليضم يديها الناعمتين

www.elromancia.com

برقة فائقة بين يديه.

- ألا أعني لك شيئاً، أنيتا؟ ألا قيمة عندك للوقت الذي أمضيناه معاً؟

- لا! في الواقع... إنه العكس تماماً!

- إذاً، لماذا ترحلين، حتى بدون إخباري أنك قررت المغادرة؟

- لأن.. لأنني كنت مخيفة جداً معك في لقائنا الأخير... اعتقدت أنك لا تريد رؤيتي ثانية.

عملت جاهدة لتظهر ابتسامة على شفتيها، لكنها انتهت بابتسامة خجولة معتذرة. بقي ليسندر ممسكاً بيديها، وأخذ يحف بنعومة أصابع يديها بإبهاميه، وهو يحدق بهما.

- وأنا، هل كنت رائعاً معك؟ لقد فقدت الثقة بك عند أول فرصة. أليس هذا صحيحاً؟

أطلق شتيمة بصوت خافت، ما إن تذكر كيف أمسك بها في الشارع ليصب جام غضبه عليها بعد أن رآها مع طاكس. كان قد تلمّس في أعماق نفسه كم بدأت هذه المرأة تعني له، لكن بدلاً من أن يكتشف تلك الأفكار والعواطف أكثر، فضل أن يعتقد أنها ستخونه مع رجل آخر، تماماً كما فعلت مريانا.

غير أن أنيتا لا تشبه بشيء زوجته السابقة. فلديها صدق واستقامة، بالإضافة إلى صفات جيدة كثيرة أيضاً، وهو سيكون أحمق بالمطلق إن تركها ترحل.

رفع نظراته المتوترة إليها، وشعر بغصة في حلقه قبل أن يتكلم: «ما كنت لأطلب منك أبداً أن تتخلصي من الطفل لو وجدت نفسك حاملاً بطفلي».

لمس خدها بلطف كبير، وشعرت بقلبها يذوب لأجله.

- أعلم أنك ما كنت لتفعل ذلك.

رفعت كتفيها قليلاً ووجدت الابتسامة التي كانت تبحث عنها، لأول مرة في حياتها تجد المرح منقذاً لها بدلاً من الألم. تابعت: «بكل الأحوال، ليس علينا أن نقلق، فهذا الحديث لا ضرورة له في الأساس».

- إذا ما تزوجنا واكتشفتِ أنك حامل بطفلي، أنيتا، فإن خبراً كهذا يدعو إلى الاحتفال لا للخيبة.

ترك يديها، ووضع راحتي يديه على بنطلونه الجينز سامحاً لذكريات ماضيه أن تعود كالطوفان. هذه المرة تعمد ألاّ يدفع تلك الذكريات بعيداً بازدراء لأنه لا يستطيع تحمل الألم الذي تجلبه معها.

- أخبرتك أنني كنت متزوجاً، وأن زوجتي قد توفيت...

انتظر إلى أن رأى التسليم بالأمر الواقع في عيني أنيتا قبل أن يتابع قائلاً: «... لم يكن زواجنا سعيداً، فمريانا، لسوء الحظ، وجدت من الصعب عليها أن تكون وفية لرجل واحد فقط».

وعندما توقف عن الكلام، تذكرت أنيتا أنه قال لها إنه خُدع من قبل امرأة خبيرة. وأخيراً، ها هي تعرف كيف حدث ذلك.

- جعلتني أبدو أحمق، لكنني كنت منشغلاً بفشلي. تركت مظهرها الجميل وتصريحاتها بحبي يخدعانني. تزوجت من تلك المرأة لأعيش معها في السراء والضراء، وتلك هي الغاية الأسمى للزواج. وعندما أقسمتْ إنها تريد فرصة أخرى لتعمل على إنجاح زواجنا وافقتُ، لأنها بدت صادقة جداً. بكل الأحوال، أصبحت حاملاً بطفلي. وكنت أعلم أننا لا نملك علاقة تدوم حتى الأبد، لكنني تمنيت فعلاً أن يتمكن الطفل من مدّ جسر متين بيننا، أو على

الأقل نستطيع إنقاذ شيء جيد من ارتباطنا المأساوي. لسوء الحظ، بعد إمضاء عطلتنا الأخيرة هنا معاً في الجزيرة، أجهضت مريانا طفلنا، وفقدت حياتها أثناء العملية.

شهقت أنيتا وهي تتنفس كالمصدومة. بريق الألم العميق الواضح في العينين الزرقاوين اللتين تحبهما كثيراً، أثار في داخلها موجة من العاطفة القوية، حتى إنها شعرت بالدوار مرة ثانية. لكن في هذه الأثناء جاء دورها لتخفف عنه، فقالت: «آه! ليسندر. أنا آسفة. كم هي قاسية الأمور التي مررت بها!».

وضعت يدها على ركبته، فوق قماش البنطلون الذي يرتديه بأناقة بارزة. على الفور، شعرت بحرارة جسده القوي تتسلل إليها. سحبت يدها وهي تشعر بالذنب، لأنها الآن ترغب في التخفيف عنه بطريقة لا تستطيع أن تقوم بها وهي جالسة هنا على رصيف الميناء. لقد جذبت بما فيه الكفاية من الانتباه لنفسها هذا اليوم، بعد أن أغمي عليها وهي بانتظار القارب!

شعر ليسندر أيضاً بالحرارة اللاذعة الفورية من تلامسهما، وكأنه أصيب بسهم ناري في داخله. لكن، مع أنه يرغب وبشكل يائس أن يكون مع أنيتا بمفردهما، هناك أمور أساسية يجب التحدث عنها في العلن، قبل أن يستسلم لتلك الرغبة القوية بمعانقتها.

- لم أخبرك كل شيء عما أفعله عندما التقينا للمرة الأولى لأنني أشعر بالحذر بشكل طبيعي من النساء اللواتي يظهرن اهتماماً شخصياً بي. ولأنني أرتكبت من قبل غلطة فادحة، فليس من السهل عليّ أن أثق بدوافع المرأة عندما ألتقي بها. اسم عائلتي مشهور جداً في هذه الجزر، كما أننا في الواقع... أثرياء جداً بالطبع.

ابتسم، وظهرت غمازتان رائعتان على وجهه، ما جعل أنيتا تشعر

كأن عسلاً شهياً يتدفق في عروقها بدلاً من الدماء.

- كان أمراً رائعاً أن أتظاهر أنني مجرد مصور بسيط وغير مشهور أمضي عطلة في الجزيرة، لا سيّما عندما تدخل القدر وعرفني على أكثر الفتيات جمالاً... فتاة لم أقابل مثلها يوماً!

راح جسدها ينبض بالحماس والشوق إليه، وبطاقة قوية جعلت من الصعب عليها أن تبقى جالسة بهدوء في مكانها، حدقت أنيتا بليسندر وكل الحب الذي تشعر به يشع من عينيها...

سألته: «كيف عرفت أنني هنا في المرفأ؟».

نظرت بتردد إلى الناس الذين يصعدون إلى القارب. لاحظت أن أحد المسافرين وضع حقيبتها جانباً، ووضع فوقها قبعتها المصنوعة من القش، ما جعلها تشعر بالامتنان.

استنتج ليسندر على الفور ما لاحظته وهو ينظر بقلق إلى القارب. شعر باللهفة والشوق إليها يتدفقان في قلبه.

- ذهبت إلى الفندق باحثاً عنك وقالوا لي إنك غادرتِ. لم أستطع المجيء البارحة لأنه كان عليّ الذهاب إلى أثينا للقيام بعمل ما...!

في وقت لاحق سيشرح لها عن علاقة التحدي التي استمرت لسنوات مع والده، والتي بلغت الذروة بسبب زواجه الكارثي من مريانا، لكن ليس الآن... الآن عليه أن يقنع أنيتا بالبقاء، وعدم الإسراع بالعودة إلى إنكلترا. تابع يقول: «وكما يبدو وصلت إلى هنا في الوقت المناسب. هل ما زلت مصرة على الصعود على متن القارب، أنيتا؟».

دست خصلة من شعرها الأسود الحريري وراء أذنها، وحركت يدها بتوتر على فستانها، وعلى الفور ظهر على وجهها تعبير جذل.

تمتمت بصوت ناعم: «أحب هذه الجزيرة، وسيكون من الصعب عليّ أن أعود إلى بلادي وأترك هذا الجمال كله ورائي، وأن أتركك أنت أيضاً، ليسندر».

- إذاً، لا تذهبي! ابقي معي لفترة أطول بعد.

- لكن...

- أنا لا أعني فقط حتى تنتهي إجازتك. أنا أتحدث عن فترة أطول من ذلك بكثير.

- ما الذي تقوله بالتحديد؟

نظرت إليه متفاجئة، ما إن وقف على قدميه ومد يده ليساعدها كي تقف أيضاً.

- أقول إنني أريدك أن تبقي في اليونان وأن تتزوجي بي.

- أتزوجك؟!

بدا الذهول عليها، لكن هل هذا يعني أنها مسرورة أو أنها تشعر بالندم؟ لم يكن ليسندر قادراً على معرفة ذلك بصورة واضحة.

- هل هي فكرة مزعجة؟ هل تجدين نفسك غير قادرة على التفكير بها أو تخيلها؟

رأت جبينه يتغضن. فأسرعت أنيتا تؤكد له: «إنها ليست كذلك على الإطلاق! أنا فقط... أنا فقط أشعر بالارتباك».

- أدركت وأنا قادم بسرعة من الفندق إلى المرفأ هنا، لكي أمنعك من الصعود إلى متن القارب، أنه الحل الوحيد لأتمكن من التعبير عن عواطفي نحوك.

شدها بقوة نحوه وهو يتكلم، لكن أنيتا وضعت يدها على صدره لتؤخر المصير الواضح لقربه منها.

- ليسندر! لا داعي للتحدث الآن عن الزواج كي تقنعني بالبقاء.

سأبقى بكل الأحوال، إذا طلبت مني ذلك.

سماعه لتلك الكلمات أوقفه. فجأة، بدا رزيناً، وبدت نظراته مشرقة سعيدة. قال: «هذا كل ما أحتاج إلى معرفته. الحقيقة هي... أعتقد أنك استوليت على قلبي منذ اللحظة التي رأيتك فيها تنظرين بإعجاب إلى صورة أفيجنيا في صالة العرض. رأيت عاطفة صادقة وناراً في عينيك، كيف يمكنني أن أقاوم؟ إذاً، كما ترين لا شيء آخر سيرضيني غير الزواج بك».

شعر بشيء يشبه الخوف بسبب تلك السعادة التي تكاد تكون كاملة. لقد استسلم فعلياً إلى حياة كاملة من العزوبية، لأنه لا يستطيع تحمل فكرة الخيانة ثانية. أمّا الآن فقد أغرم بقوة بأنيتا، امرأة تريده بحقٍّ لنفسه وليس لأنها فتنت بثرائه ووضعه الراهن، أو أنها تريد أن تقدم طموحها الشخصي عليه. أنيتا ليست المرأة التي تشاركه اهتماماته وعواطفه فقط، إنها المرأة التي يود أن يصبح هرماً بقربها. وستكون أيضاً، بدون أي شك، الأم الأكثر روعة لأطفالهما.

شعر ليسندر بانقباض في معدته عندما وصل إلى الفندق في وقت باكر، وأخبره عامل الاستقبال في المكتب أن الآنسة داين قد غادرت، وأنها في طريق عودتها إلى بلادها. الحمد لله إنه تمكن من الإمساك بها في الوقت المناسب!

- حسناً، إذاً!

تنهدت أنيتا على صدره، وأخذت نفساً عميقاً كأنها تستنشق أوكسجيناً صافياً رائعاً. اندفع ابتهاج قوي بسرعة عبر عروقها، حتى كادت تشعر بالدوار ثانية. غير أنها هذه المرة لا رغبة لديها مطلقاً بالإغماء! فهي تريد أن تكون بكامل قوتها، واقفة على قدميها وهي

تقول الكلمات التي تتسارع لتنطلق خارجاً: «سأتزوج بك، ليسندر. سأتزوج بك، لأنني إن لم أفعل، سأمضي ما تبقى من حياتي وأنا أشعر بيأس مطلق! سأشعر كأن جزءاً أساسياً مني قد فقد».

قال ساخراً: «إذاً من الأفضل ألاَّ نؤخر الزفاف لنتأكد أن ذلك لن يحدث مطلقاً».

أدار رأسها نحوه.

غادرت الابتسامة شفتي أنيتا وقد رفعت رأسها لتحدق بالوجه الوسيم المحب الذي ينظر إليها بشوق غير مقنّع. لمست بأصابعها فكه الفاتن القوي، وشعرت بفرح لا يوصف لمعرفتها أنها حرة في القيام بذلك ساعة تشاء.

- موافقة. لكن أولاً أريد أن أوضح بأنني لن أخدعك مطلقاً، أو أسبب لك الأذى. وأنني سأحبك من كل قلبي حتى لو كنت فقيراً، ولا تملك أي قرش باسمك! كما أنني أملك مالاً خاصاً بي، أيضاً. فقبل أن أسافر كلفت وكالة للبيع ببيع المتجرين اللذين أملكهما. حسناً! إنه لا يوازي ثروة بالتحديد، لكنه سيؤمن مالاً مدخراً للمستقبل. عندما أتصل بأهلي يمكنني أن أعرف...

فجأة، توقفت عن الكلام، ورمشت بعينيها وهي تنظر إليه. سألته بتوتر: «لِمَ تنظر إليَّ هكذا؟».

حف ليسندر التغضن الخفيف بين حاجبيه، وابتسم قائلاً: «لم أكن أدرك أنك تتحدثين كثيراً».

ظهر لون زهري متدرج على خديها، وتصلبت قليلاً بين ذراعيه، إذ انتبهت فجأة لنفسها. مسدت شعرها إلى الوراء بعيداً عن جبهتها. تمتم ليسندر كلمات لطيفة في أذنها، فازداد تورد خديها عمقاً، ما جعل ابتسامته أكثر اتساعاً.

- ما معنى كلماتك تلك باللغة الإنكليزية؟

أحبت سماع لغته الأصلية على لسانه، وفكرت كم بدا رائعاً وهو يتكلم.

- إنها تعني إن توقفت عن الكلام لفترة قصيرة سأتمكن من معانقتك.

قالت معترضة: «عادة لا أتكلم كثيراً».

شعرت بساقيها ترتجفان من نظرات ليسندر المليئة بالشوق.

- أتحدث كثيراً فقط عندما أشعر بالحماس فعلاً، أو عندما أكون سعيدة.

استقرت عيناها الداكنتان على وجهه الوسيم وهي لا تشعر بأي خجل من شوقها إليه.

- أنيتا!

- نعم، ليسندر!

- سيكون من المناسب أكثر أن تتوقفي عن الكلام الآن.

- آه!

انجرفت الكلمات من رأسها كما تنجرف الأوراق المتساقطة أمام عاصفة قوية. عانقها بقوة، أمام صف من الناس الذين يصعدون إلى القارب، والزبائن الدائمين في المقهى الذين راحوا يبتسمون مشجعين. وعندما أنهى ليسندر عناقه في نهاية الأمر، تمنت أنيتا بشدة أن يحظى كل شخص في العالم بسعادة رائعة كالتي تعيشها هي في هذه اللحظة.

www.elromancia.com

١٢ - يخت ونجوم

بعد مرور سنة.

استدار ليسندر في السرير ليضم جسد زوجته الدافئ الجميل إليه، تحرك على الفور مستيقظاً عندما أدرك أنه يسعى ليدنو من مساحة فارغة. وضع قدميه على الأرض المغطاة بسجادة سميكة وهو يرتدي بيجاما من الحرير... حدق في المهد الصغير الذي وضع بجانب السرير الكبير وتجهم وجهه. فذلك المهد فارغ أيضاً. بسرعة، وضع قدميه في حذاء جلدي ناعم، وغادر غرفة النوم الفاخرة في اليخت الجديد الذي أسماه مؤخراً على اسم زوجته، وصعد الدرج الذي يقود مباشرة إلى ظهر المركب الرئيسي بسرعة.

الرؤية التي وقعت عيناه عليها عندما وصل جعلته يشعر أنه تعثر بأكبر عمل فني ملهم في متحف أو في صالة عرض. كانت زوجته وطفلته يشكلان منظراً ساحراً مقابل ستارة من ضوء القمر المشع فوق المحيط. كانت أنيتا ترتدي ثوباً طويلاً للنوم أبيض اللون، وقد تركت شعرها الطويل متدلياً على ظهرها، وهي تحمل طفلتهما برقة بين ذراعيها. بدتا معاً كلوحة ملائكية، فشعر بحلقه يضيق من شدة العاطفة.

أحست أنيتا أنهما ليستا بمفردهما، برفقة القمر والمحيط. ابتسمت بحب لزوجها الوسيم، الأشعث الشعر الذي وقف عاري الصدر على بعد خطوات منها، مرتدياً فقط بيجاما زرقاء اللون.

- ماذا تفعلان هنا خارجاً؟

سأل باهتمام، وقد بدا صوته أجش من النوم وهو ينضم إليهما قرب الحاجز المحيط بسطح اليخت.

تمتمت: «أردت أن أجعل بولي ترى النجوم».

تدفقت رجفة سرية من السعادة في داخلها ما إن أحاطت ذراعي ليسندر جسمها بتملك.

- هل رأيتها؟ لا بد من وجود الملايين منها...

أدارا نظراتهما إلى الأعلى، وامتلأت عينا أنيتا السوداوان بالدهشة والتعجب.

على مضض سحب ليسندر نظرته عن وجه زوجته الرائع الفاتن، ورفع نظره إلى السماء بالرغم عنه.

أبقى نظره على الغطاء الفضي المشع الذي يملأ السماء للحظة، ثم أسقط نظرته حيث طبع قبلة ناعمة على خد زوجته الرقيق.

قال لها وهو يبتسم: «هناك فقط نجمتان أنا أهتم لهما في الواقع الآن، حبيبتي».

- ليسندر!

استدارت أنيتا إليه ما إن شعرت بموجة من الخوف تسري بيأس وبسرعة في داخلها. تسارعت دقات قلبها قليلاً وهي تنظر إلى عينيه الرائعتين.

- أحياناً أشعر أنني سعيدة جداً لدرجة تجعلني أصاب بالخوف. كهذه الليلة مثلاً، عندما نكون نحن الثلاثة معاً، تحت هذه السماء الرائعة، وجميعنا بخير وسعداء. أخشى ألاّ يدوم ذلك، وأن يحدث أمر ما ليفسد ذلك كله، وليسبب لنا الألم.

حتى قبل أن تقابل زوجها على الجزيرة، عندما كانت منقادة من

www.elromancia.com

قبل ظروف تتحداها وتدعوها في طلب شخصي لتغير حياتها، كانت أنيتا مصممة على تبديل وسائلها الحذرة، وعلى امتلاك بعض الإيمان والثقة بالطاقات المتوفرة لديها، بدلاً من أن تحاول بصورة دائمة البحث عن ضمانات للأمان.

استحق تصميمها ربحاً إضافياً، لأنها التقت برجل أحلامها وسلمت عواطفها إليه بدلاً من التفكير أن مستقبلهما معاً أمر مستحيل. الآن، بات لديهما طفلة جميلة أيضاً، أطلقت عليها اسم صديقتها الغالية التي لا تزال تفتقدها. ليس هذا فقط، لكن ليسندر رأب الصدع الذي قام بينه وبين والده، وهذا ما فعلته أنيتا أيضاً مع والديها. وأيضاً مع والدة ليسندر الرائعة، غالاتيا. لا يمكن أن يكون هناك عائلة أكثر حباً في العالم من عائلة بولي الصغيرة.

أمسك ليسندر بجانب من وجهها برفق، وقال: «لا تخافي، أنيتا!».

ثم نظر بحنان إلى الطفلة النائمة بين ذراعيها، وابتسم ابتسامة مليئة بالثقة تماماً كما هي مليئة بالحب، وتابع: «لن يحدث أي سوء لأي منا، لأننا نستحق هذه السعادة. نحن مغامران، أنت وأنا. لقد تعرضنا لعواصف بحرية ووجدنا كنزنا. ألا تعلمين أن الكون يبتسم بإيجابية للأشخاص المغامرين مثلنا؟».

بعد قوله هذا، كيف يمكن لأنيتا ألاّ تصدقه؟ شعرت بالسلام يستقر على كتفيها أخيراً، ورفعت وجهها إليه ليعانقها. وعندما فعل زوجها المحب ذلك بسعادة، استدارا وسارا ببطء لينزلا الدرج إلى غرفة نومهما.

بعد مرور عدة دقائق فقط وجد ليسندر زوجته الجميلة حيث

يريدها، في سريرهما، غمرها بذراعيه المحبتين لتستقر إلى جانبه بارتياح وسعادة، فيما طفلتهما الصغيرة تسبح بأمان في عالم الأحلام بجانبهما.

www.elromancia.com